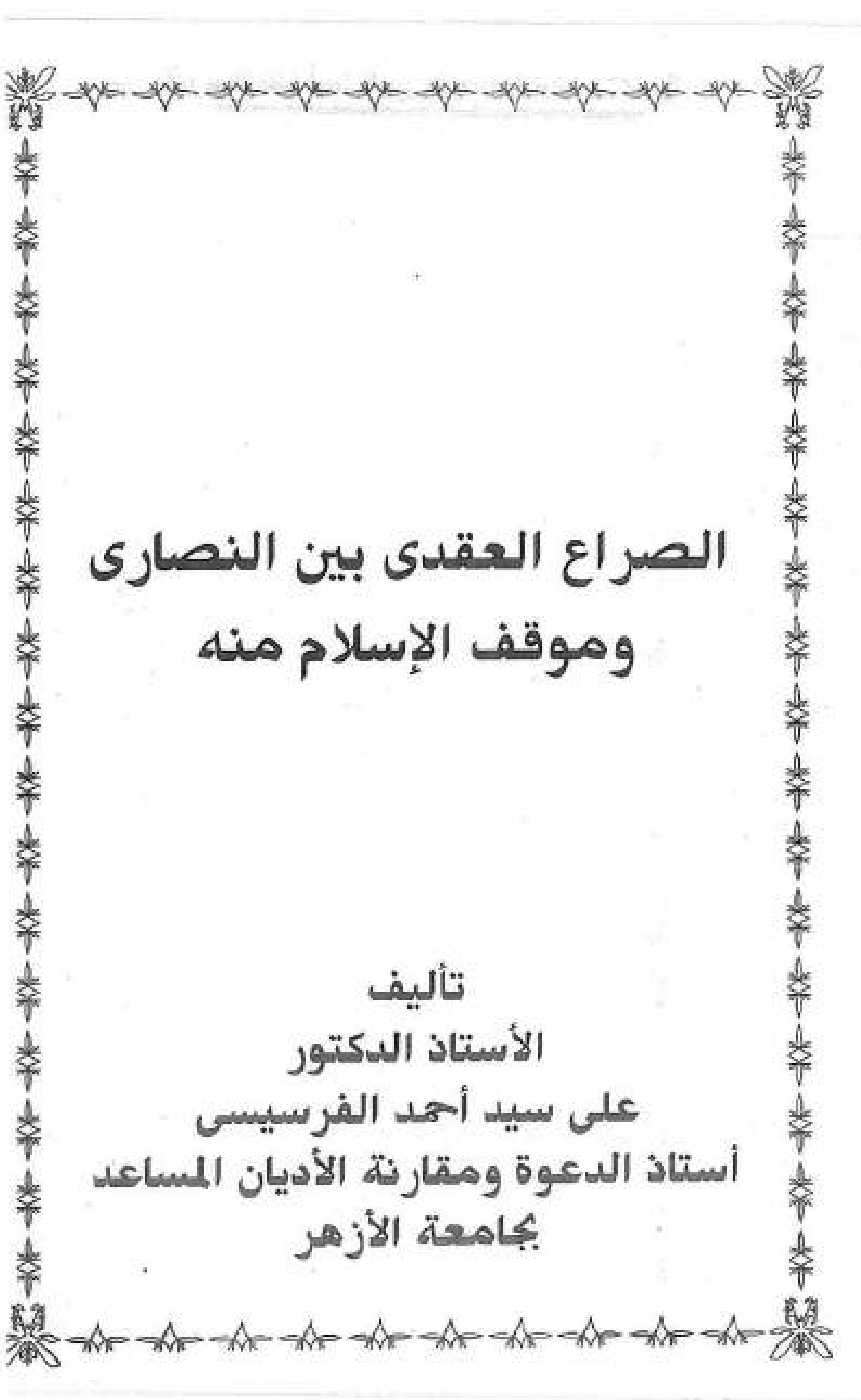


الصراع العقدى بين النصارى ومووقف الإسلام منه

تأليف
الأستاذ الدكتور
على سيد أحمد الفرسيسى
أستاذ الدعوة ومقارنة الأديان المساعد
بجامعة الأزهر

[illegible]

[illegible]

[illegible]

" المقدمة "

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه خير الرجال وأعظم الأجيال وعلى كل من اقتفى أثرهم واتبع هديهم إلى يوم الدين .

أما بعد : -

فإن من أعظم ألوان الهداية القرآنية مما أخبر به الحق تعالى فى كتابه الحق من أن النصارى أمة المسيح عليه السلام ، قد انحرفوا عن منهج الله تعالى ونأوا عما بعث به نبيهم عيسى بن مريم – عليه السلام ، ولقد كان تحريف النصارى لعقيدة التوحيد التى دعا إليها المسيح – عليه السلام – كغيره من أنبياء الله – عز وجل – هى باب الفتنة الأعظم الذى فتحه النصارى على أنفسهم ، فقادهم إلى ما هم عليه الآن من شرك بالله – عز وجل وادعاء البشرية له جل جلاله ، والألوهية لعيسى بن مريم – عليه السلام -، وما ترتب على ذلك من دعاوى الصلب والفداء والقيامة والمجئ الثانى وديونة المسيح للعالم ، وغيرها من الدعاوى التى حكم القرآن بسببها عليهم بالكفر والضلال ، يقول تعالى ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (١)

وإذا كان المسيح - عليه السلام - قد دعا بنى إسرائيل إلى توحيد الله – جل جلاله – وحذرهم من الشرك كل هذا التحذير ، فلا غرو أن يحكم القرآن بكفر من خالف عيسى – عليه السلام - ، وادعى أنه هو الله – جل جلاله – وكما افترى النصارى على المسيح – عليه السلام –

---

(١) سورة المائدة : آية رقم : ٧٢ .

فادعوا أنه هو الله ، افتروا كذلك على جبريل – عليه السلام – (الروح القدس) فزعموا أنه الشريك الثانى لله – عز وجل – وتلك هى عقيدة النصارى فى شأن التثليث ، وعنه يقول الخالق جل جلاله ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ ﴾ (١) ثم ادعى النصارى بعد هذا أن مريم العذراء لم تلد بشراً ، وإنما ولدت إلهاً فهى عندهم أم الإله ، فنقض القرآن هذا الزعم ، وأبطل تلك العقيدة فى قوله سبحانه ﴿ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ ﴾ (٢) ومن أكل الطعام فهو مفتقر إليه وفيه كل خصائص البشر وخصالهم ، فكيف يمكن لمن أكل الطعام أن يكون إلهاً ؟ وحتى يتمكن المغرضون من دعاة التثليث من تحقيق مآربهم قاموا بتحريف الإنجيل المنزل على عيسى – عليه السلام – وابتدعوا لأنفسهم أناجيل وأسفاراً تؤيد عقائدهم ، وتدعم مواقفهم ، وفى هذا يقول الحق جل ذكره ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ (٣) ، ونتيجة لتغيير العقيدة وتحريف الإنجيل افترق النصارى إلى شيع متقاتلة وأحزاب متعارضة ، تتناحر فيما بينها فى أصول الدين ، ومبادئ العقيدة ، وكل طائفة من تلك الطوائف المتصارعة تدعى أنها وحدها على الحق ، وأنها التى استأثرت بالخلاص المزعوم ، وأن ما سواها فكفار هارطقة ، ولقد كان هذا الصراع ولا يزال من أقوى الأدلة على ما أخبر به الحق تعالى فى كتابه الخاتم على تحريف النصارى لمصادرهم وعقائدهم ، ومن ثم رأيت أن أخصص هذا الموضوع بكتابة هذا البحث حول الصراع العقدى بين

---

(١) سورة المائدة : آية رقم : ٧٣

(٢) سورة المائدة : آية رقم : ٧٥ .

(٣) سورة المائدة : آية رقم : ١٤ .

النصارى ثم نبين موقف الإسلام منه ، وسنحاول بعون الله – عز وجل – أن نسوق للقارئ أهم معارك هذا الصراع العقدي قديماً وحديثاً ، وإلام انتهت ، ولا شك أن مثل هذا البحث سيعين – إن شاء الله – على تتبع التطورات المختلفة التي اجتاحت دعوة التوحيد التي بعث بها عبد الله ونبيه عيسى – عليه السلام ، وفي هذا أبلغ رد على المكابرين من النصارى المنكرين لتحريف الإنجيل ، وتغيير العقيدة ، كما أن مثل هذا البحث يكشف ما بين الكنائس النصرانية المختلفة من خلافات وصراعات ، ومن شأن هذا البيان أن يزيد المسلم إيماناً بما شرفه الله به من دعوة الإسلام ، واتباع محمد ﷺ – ، كما أن فيه أبلغ تحذير لامتناعن الانحراف عن كتاب الله – عز وجل ، وسنة رسوله ﷺ – ، وإلا فستصير هذه الأمة فرقاً وأشياعاً يقاتل بعضها بعضاً ، ويكفر بعضهم بعضاً كما صنع النصارى ، وإذا كان في إبراز الصراع العقدي بين النصارى تحذير لأمتنا ، فإن فيه كذلك تبصيراً للنصارى من أتْباع الفرق المختلفة ، والمذاهب المتصارعة بأسباب ذلك الصراع ونتائجه ، ولعل مثل هذا التبصير أن يدفع أهل الانصاف من النصارى إلى أن يعيدوا النظر في موقفهم من الإسلام ونبي الإسلام ، وفي هذا البحث بمشيئة الله تعالى – نفع للدعاة إلى الله – عز وجل – حيث يجب أن يكونوا ملمين بأبرز هذه الصراعات ، وتلك الإختلافات حتى يتمكنوا من دعوة أصحابها عن علم بأحوالهم ، فيكون هذا أبلغ في دعوتهم وأدعى إلى هدايتهم ، أو على الأقل إقامة الحجة عليهم .

خطة هذا البحث :

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يشتمل على مقدمة وتمهيد ، وثلاثة مباحث وخاتمة ،

أما المقدمة : فقد بينت فيها أهمية الموضوع وبعض أسباب اختياره وخطة البحث فيه .

وأما التمهيد : فإنه يشتمل على نقاط أربع على النحو التالى :

أولاً : معنى مفردات عنوان البحث .

ثانيا : عقيدة المسيح - عليه السلام - كما بينها الإسلام .

ثالثاً : عرض موجز لعقائد النصارى فى المسيح - عليه السلام .

رابعاً : شهادة القرآن الكريم بالصراع العقدى بين النصارى وأنه قائم إلى يوم القيامة .

وأما المباحث فهى على النحو التالى : -

المبحث الأول : الصراع العقدى بين النصارى الموحدين والوثنيين وموقف الإسلام منه .

المبحث الثانى : الصراع العقدى بين القائلين بالتثليث وموقف الإسلام منه .

المبحث الثالث : الصراع العقدى بين الكنائس التقليدية والإصلاحية وموقف الإسلام منه .

الخاتمة : وتشتمل على أهم نتائج البحث .

هذا وبالله تعالى التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أ٠د / على سيد أحمد السيد الفرسيسى

أستاذ الدعوة ومقارنة الأديان المساعد فى الكلية

" التمهيد "

يجدر بنا قبل أن نستعرض جولات الصراع العقدى بين الطوائف النصرانية قديماً وحديثاً أن نمهد لذلك بالنقاط التالية : -

أولا : معنى مفردات عنوان البحث .

ثانياً : عقيدة المسيح – عليه السلام – كما بينها الإسلام .

ثالثاً : عرض موجز لعقائد النصارى فى المسيح – عليه السلام .

رابعاً : شهادة القرآن الكريم بالصراع العقدى بين النصارى وأنه قائم إلى يوم القيامة .

وفيما يلى نعرض (بشئ من التفصيل لهذه النقاط)

أولاً : معنى مفردات عنوان البحث

عنوان هذا البحث (الصراع العقدى بين النصارى وموقف الإسلام منه)

وبادئ ذى بدء نبين معنى كلمة (الصراع) ، وقد أجمعت معاجم العربية على أن (الصراع) مصدرٌ للفعل صارَعَ يقال : صارع فلانٌ فلاناً أى غالبهُ وتصارع الرجلان أراد كل منهما أن يصرع الآخر (١) .

وعلى هذا فالصراع من اشد أنواع الخصومة والدها حيث إن كل فريق من الفرق المتصارعة يريد أن يصرع الآخر وتكون له الغلبة عليه، ولقد اخترنا هذه اللفظة دون غيرها فى عنوان هذا البحث ، لأنه أصدق ما يعبر به عن حال النصارى فى شتى أطوارهم التاريخية ، وعبر

---

(١) يقول صاحب لسان العرب " الصرع ، الطرح بالأرض وخصه فى التهذيب بالإنسان ، صارع فصرعه يصرعه صرعاً – الفتح لتميم والكسر لقيس ، عن يعقوب فهو مصروع وصريع ، والجمع صرعى ، والمصارعة والصراع ، معالجتها ايهما يصرع صاحبه – لسان العرب جـ٢- ص ٤٣ – مادة صرع .

عصورهم المختلفة ، حيث كانت ولا تزال كل طائفة تحاول (بكل ما أوتيت من قوة أن تكون لها الغلبة ، وألا تدع غيرها من الطوائف قبل أن تصرعه بالرمي بالكفر والضلال ، والطرد من رحمة الله ، ودائرة الخلاص المزعوم ، فالصراع العقدى هو ما اختلف حوله النصرى من أمور تتصل بالعقيدة ، مثل عقيدة ألوهية المسيح أو التثليث أو الروح القدس، أو غير ذلك من القضايا العقدية ، وعليه فهذا البحث خاص بإبراز أهم الصراعات النصرانية المتعلقة بالعقائد دون غيرها من الشرائع مثلاً ، وإن كنا سنعرض لصراعاتهم فى بعض التشريعات ذات الصلة بالجانب العقدى .

ثانيا : عقيدة المسيح – عليه السلام – التى آمن بها ودعا إليها – كما بينها الإسلام

إن من الحقائق الثابتة التى أخبر بها القرآن ودعا إليها ونادى بها نبى الإسلام – صلى الله عليه وسلم – أن عيسى بن مريم – عليه السلام – هو أحد أنبياء الله – عز وجل – الكرام الذين اصطفاهم لحمل رسالته، وتبليغ دعوته ، وأن الله – عز وجل – قد خلقه – عليه السلام – فى رحم العذراء البتول من غير نطفة ذكر بياناً لطلاقة قدرته وإظهاراً لكمال عظمته ، وإقناعاً للجاحدين من بنى إسرائيل ، بأن الله – عز وجل – على ما يشاء قدير.

كما قال سبحانه ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾(١)

وكما قال سبحانه ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون . إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى إسرائيل ﴾

---

(١) سورة المؤمنون : آية رقم : ٥٠

ويقص القرآن علينا ما تلقت به السيدة العذراء مريم – عليها السلام خبر حملها وولادتها من غير نطفة رجل ، ودهشتها لذلك ، وشدة عجبها ، وما أخبرها الله به من أوصاف ذلك الوليد العجيب عيسى – عليه السلام – إذ يقول سبحانه ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ۞ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ۞ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۞ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۞ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ۞ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۞ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۞ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ (١) ومنذ اللحظات الأولى التى أخرج فيها المسيح – عليه السلام – إلى هذه الحياة الدنيا ، وبينما السيدة مريم – عليها السلام – تحمله بين يديها في مهده كانت الكلمة

---

(١) سورة آل عمران : الآيات : ٤٢ – ٥٠ .

الأولى التي أنطقه الله بها ، إقراره عليه السلام بأنه لا يعدو أن يكون عبداً لله – عز وجل – منّ الله عليه بالكتاب وهو – الإنجيل – وجعله نبياً لبني إسرائيل يقول تعالى ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ۞ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ۞ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۞ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۞ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۞ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۞ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ (١)

ولم يأمر نبي الله عيسى – عليه السلام – قومه من بني إسرائيل بشئ ، كما أمرهم بتوحيد الله – عز وجل – وإفراده بالعبادة دون سواه ، ولم ينههم عن شئ كما نهاهم عن الشرك بالله – عز وجل – ففيما قصه القرآن عنه عليه السلام قوله ﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (٢)

ولا عجب في أن تكون الدعوة إلى التوحيد هي الركن الركين ، والأساس المتين في دعوة المسيح – عليه السلام – فما المسيح – عليه السلام إلا حلقة مشرقة في تلك السلسلة الوضاءة من أنبياء الله – عز وجل – ورسله ، وقد قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (٣) فعقيدة أنبياء الله تعالى جميعا

---

(١) سورة مريم : الآيات : ٢٧ – ٣٣ .

(٢) سورة المائدة : آية رقم : ٧٢ .

(٣) سورة الأنبياء : آية رقم : ٢٥ .

عقيدة واحدة ، لأن دينهم واحد وهو الإسلام . كما قال سبحانه ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾(١)

وقال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ (٢) وإذا كان التوحيد هو دعوة الأنبياء والرسل أجمعين (صلوات الله وسلامه عليهم) بما فيهم عيسى – عليه السلام – فلا شك أن الإنجيل الحق الذى أنزله الله عليه ، كان يحمل ذلك المضمون مصدقا لما قبله من التوراة المنزلة على نبى الله موسى – عليه السلام – ومبشراً ببعثة النبى الأعظم والرسول الخاتم محمد – صلى الله عليه وسلم – ، كما قال سبحانه ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾(٣)

وفى تبشير عيسى – عليه السلام – قومه بمحمد – صلى الله عليه وسلم – قال تعالى ﴿ وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد . فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ﴾(٤) .

(١) سورة الشورى : آية رقم : ١٣ .

(٢) سورة الأحزاب : آية رقم : ٧ .

(٣) سورة المائدة : آية رقم : ٤٦ .

(٤) سورة الصف : آية رقم : ٦ .

وقال تعالى ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

وهكذا نرى أن رسالة عيسى – عليه السلام – ودعوته كانت كسائر رسالات الله ، قائمة على أساس الدعوة إلى توحيد الله تعالى ، مصدقة لما قبلها ، ومبشرة بما بعدها فلم يدعى المسيح – عليه السلام – أنه إله ، أو ابن الإله ، أو ثالث ثلاثة مع الله ، أو أن البشر جميعاً خطاة ، وأن ابن الله المزعوم منزل من السماء ، ولبس جسداً بشرياً ليصلب فداءً عن البشر .

وينكر القرآن إنكاراً قاطعاً ما يدعيه اليهود والنصارى من أن عيسى – عليه السلام – قد صُلب ، وبالتالي ينكر القرآن كل ما ترتب على عقيدة الصلب من القول بالقيامة ، وديونونة المسيح للعالم ، وما إلى ذلك مما يعتقده النصارى ، وإنما يخبر القرآن أن الله عز وجل – قد حفظ نبيه عيسى – عليه السلام – ورفعه عزيزاً كريماً ، يقول تعالى ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۞ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (٢)

(١) سورة الأعراف : آية رقم : ١٥٧ .

(٢) سورة النساء : اية رقم : ١٥٧ ، ١٥٨ .

ومن ثم أخبر نبينا الأعظم صلى الله عليه وسلم أن من علامات الساعة ان ينزل عيسى – عليه السلام – من السماء بقوة الله وقدرته مصدقاً لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – محارباً للنصارى وعقائدهم إذ يقول – صلى الله عليه وسلم " والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها " (١)

ثالثا : عرض إجمالى لعقائد النصارى فى المسيح - عليه السلام -

وبعد أن بينا وجه الحق فى دعوة عيسى – عليه السلام – ورسالته نعرض الآن لما تعتقده الكنائس المسيحية على – اختلافها – فى شأن عيسى – عليه السلام – إذ يعتقد النصارى أن الجنس البشرى قد سقط فى الخطية ، ومات كله موتاً روحياً بسبب عصيان ادم وحواء اللذين اكلا من شجرة معرفة الخير والشر التى نُهى عن الاكل منها ، وأن أولادهما قد ورثوا الخطية من بعدهما ، فصار الجنس البشرى كله خاطئاً (٢) ومن ثم احتاج الجنس البشرى إلى مخلص يخلصه من تلك الخطية ، فكان ذلك المخلص هو " يسوع " المسيح بن مريم – على زعمهم – (٣) ثم بنوا على تلك العقيدة عقيدة أخرى ، وهى ما تسمى

---

(١) أخرجه البخارى – ك أحاديث الأنبياء – باب نزول عيسى – عليه السلام – ح رقم ٣١٩٢ – عن أبى هريرة .

(٢) يراجع سفر التكوين ص ٢ .

ففيه تفاصيل تلك القصة وما اختلط بها من أساطير

(٣) يراجع فى تفاصيل عقيدة الخلاص عند النصارى رسالة بولس إلى رومية – ص ٦ – ف ١٤-٢٢ ، والخلاص فى مفهومه التطبيقى – صموئيل حبيب – ص ٢٠-٢١ – ط دار الثقافة المسيحية ، وحقائق أساسية فى الإيمان المسيحى / لفايز فارس ص ٣٩-٤٠ ط الثقافة .

بعقيدة " التثليث " ، فهم يعتقدون أن الإله عندهم واحد ذو ثلاثة أقانيم، هى أقنوم الأب ، وأقنوم الإبن ، وأقنوم الروح القدس ، وأن كلا من هذه الأقانيم الثلاثة إله كامل الألوهية ، وأن الأقانيم الثلاثة ليست منفصلة ولا متصلة ولا متحدة ولا ممتزجة ، ومع هذا هي إله واحد ، ويعتقدون أن هذه العقيدة سر لا يفهم وإنما هى فوق مستوى العقل البشرى (١)

كما يعتقد النصارى أن الأقنوم الثانى وهو الابن ، قد نزل من السماء، وتجسد فى بطن مريم العذراء فصار إلهاً كاملاً ، وإنساناً كاملاً ، وأنه قد أخبر بصلبه قبل أن يصلب ، فقال لهم " إن أراد أحد أن يسير ورائى فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى " (٢) ويزعمون أن المسيح قد حُوكم من السلطات الرومانية ، فحُكم عليه بالإعدام صلباً ، وبصلبه طُهِّر الجنس البشرى من الخطية – على زعم النصارى – (٣)

ويزعم النصارى ويعتقدون أن المسيح قد قام من قبره الذى دفن فيه – بعد ثلاثة أيام من دفنه ، وأنه بعد قيامته قد كلم تلاميذه ، وحوارييه ، وبقيامة المسيح من بين الأموات قامت البشرية كلها من موتها الروحي ، ثم صعد بعد ذلك إلى السماء ، وجلس عن يمين الأب (٤)

---

(١) يراجع فى عقيدة التثليث (ك الصحائح فى جواب النصائح لابن العسال – ص ١٦ط سنه ١٦٤٢ قبطية عين شمس و ك عقيدتنا فى المسيح للقس عبد المسيح بسيط جـ ٢ – ص ١١– ط المصريين ، ك الله ذاته ونوع وحدانيته / لعوض سمعان –ص٢٨٢– ط الكنيسة الإنجيلية ، ك دراسات فى الكتاب المقدس لأسناسيوس – ص٤٢– ط دار العالم العربى .

(٢) إنجيل متى ص ١٦ – ف ٢٤ .

(٣) يراجع فى هذا الكتب التالية (ك يسوع المصلوب / للقس متسى حنا ص ٤٧–٤٨) ط مكتبة كنيسة الإخوة ، ك طبيعة المسيح / لشنودة الثالث – ط المحبة ،

(٤) وحول عقيدة النصارى فى قيامة المسيح تراجع الكتب التالية (ك قيامة المسيح حقيقية أم خدعة ؟ د/ فريز صموئيل – ط دار الثقافة ، وك قيامة المسيح والأدلة على صدقها عوض سمعان – ط الكنيسة الإنجيلية ، ك القيامة رجاء البشرية فى الخلود / صموئيل مشرقى – ط الكنيسة الخمسينية .

ومع أن المسيح – على زعمهم – هو الأقنوم الثاني في ذلك الثالوث إلا أنهم يعتقدون أن المسيح وحده هو ديان الخلائق أي محاسبها ومجازيها وهذه تسمى عندهم عقيدة الدينونة (١)

هذه هي عقائد النصارى التي تؤمن بها – إجمالاً – كل طوائفهم، وجميع كنائسهم وهي – كما نرى – يُبنى بعضها على بعض، ويستلزم بعضها بعضاً، ولسنا الآن في مجال مناقشتها، أو الرد عليها فإن لهذا موضعه في البحث، ولكننا أردنا أن نطلع القارئ الكريم على موجز ما يعتقده النصارى قبل أن نلج آفاق صراعهم العقدي، ومن الجدير بالذكر أن النصارى قد جمعوا هذه العقائد فيما يسمى عندهم بالأمانة، أو الدستور، فهم يقرأونها في صلواتهم، ويعلمونها رجالهم ونساءهم (٢).

رابعاً : شهادة القرآن باختلاف النصارى وأنه قائم إلى يوم القيامة:

حرص القرآن الكريم – أثناء حديثه عن النصارى –، وإبطاله لعقائدهم – على أن يؤكد حقيقة في غاية الأهمية، ألا وهي أن النصارى ليسوا فرقة واحدة، ولا أمة مترابطة، وإنما هي فرق متعارضة، وأحزاب متعاندة، وقد أكد القرآن العظيم هذه الحقيقة في أكثر من موضع، وأثناء رصده لميادين الانحراف عند النصارى، والتي انتهت بهم إلى الكفر بوحدانية الله، والإشراك به جل جلاله.

---

(١) وهناك اختلاف بين النصارى حول عقيدة الدينونة سوف نعرض له بالتفصيل أثناء البحث إن شاء الله، وحول عقيدة الدينونة يراجع ك خمس حقائق عن المسيح – ص ١٠٨-١٠٩، وك اللاهوت المقارن / لشنودة الثالث – حـ١ – ص١٢٤ – ط دار الثقافة.

(٢) يراجع نص هذه الأمانة أو ذلك الدستور في ك علم اللاهوت للقمص ميخائيل مينا – مطبعة النصر بمصر – ص ٢٩٥ – ط السادسة سنة ١٩٧٦، ك شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة / يوحنا سلامة – ص ٢٩١ – مكتبة ماري جرجس – ط الثالثة.

ومن هذه الميادين ما يلى : -

أ -فى ميدان الإخبار عن تحريفهم لكتب الله المنزلة

فقد أخبر القرآن الكريم أن أهل الكتاب – اليهود والنصارى – قد سمحوا لأنفسهم أن يحرفوا كلمات الله – عز وجل – فى التوارة المنزلة على موسى – عليه السلام – والإنجيل المنزل على عيسى – عليه السلام – وأن هذا التحريف لم يكن جهلاً ولا سهواً ، إنما كان مقصوداً متعمداً ، يقول تعالى ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(١) وفى تفسير هذه الآية يقول صاحب المنار " أي تخلطون الحق الذي جاء به الأنبياء ، ونزلت به الكتب ، وهو عبادة الله وحده ، وعمل البر والخير ، والبشارة بنبى من بنى إسماعيل يعلم الناس الكتاب والحكمة ، لم تخلطون هذا الباطل الذى ألحقه به أحباركم ، ورهبانكم من التأويلات ، والآراء ، وتجعلون كل ذلك دينا يجب اتباعه ، ويحسب أنه من عند الله ، كما قال الله تعالى فى آية أخرى " ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله " فلبس الحق بالباطل عام يشمل كل ما ذكر ، وقيل هو خاص بالعقائد والأحكام ، وقوله " وتكتمون الحق وأنتم تعلمون خاص بالبشارة بالنبى – صلى الله عليه وسلم – والصواب أن هذا عام أيضا فإنهم كانوا يكتمون بعض الأحكام إتباعاً للهوى ، فيجعلون الكتاب قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً ويأكلون بذلك السحت ، وقد بين الله لهم على لسان رسوله كثيراً مما كانوا يخفون من الكتاب (٢) وهكذا يشترك أهل الكتاب – اليهود والنصارى – فى خلط الحق الذى أنزله الله – عز وجل – بالباطل الناشئ عن اتباع آرائهم وأهوائهم ، ومن ثم كان من أهداف

---

(١) سورة آل عمران : آية رقم : ٧١ .

(٢) تفسير المنار للأستاذ / محمد رشيد رضا –جـ٣ –ص ٢٧٣-٢٧٤- ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .

رسالة الإسلام الخاتمة ، كشف النقاب عن ذلك الحق الذى حرص أهل الكتاب على إخفائه كما قال تعالى ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ (١) كما بين الحق تبارك وتعالى أن هذا التحريف لكتب الله – عز وجل – إنما كان مقصوداً ، يبتغى المحرفون من ورائه تحقيق أهداف ، والوصول إلى غايات ، يأتى فى مقدمتها خدمة أهوائهم ، وإرواء شهواتهم .

يقول تعالى ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) وفيما يتعلق بالنصارى يقول عز وجل ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ (٣) وفى تفسير هذه الآية يقول الإمام القرطبى – رحمه الله – قوله تعالى " ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم " أى فى التوحيد والإيمان بمحمد – صلى الله عليه وسلم إذ هو مكتوب فى الإنجيل " فنسوا حظاً " وهو الإيمان بمحمد – صلى الله عليه وسلم – أى لم يعملوا بما أمروا به ، وجعلوا ذلك الهوى والتحريف سبباً للكفر بمحمد – صلى الله عليه وسلم – ومعنى " أخذنا ميثاقهم " هو كقولك أخذت من زيد ثوبه ودرهمه ... وقوله تعالى " فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء " أى هيجنا ، وقيل ألصقنا بهم ، مأخوذ من الغراء ! وهو ما يلصق الشئ بالشئ ، كالصمغ وشبهه ، يقال: غرى بالشئ يغرى به غرا بفتح الغين مقصوراً ، وغير اى بكسر الغين

(١) سورة المائدة : اية رقم : ١٥ .
(٢) سورة البقرة : آية رقم : ٧٥ .
(٣) سورة المائدة : اية رقم : ١٤ .

ممدوداً ، إذا أولع به كأنه التصق به ، وحكى الروماني " الإغراء تسليط بعضهم على بعض ، وقيل الإغراء التحريش ، وأصله اللصوق . يقال غريت بالرجل غراً مقصور وممدود مفتوح الأول إذا لصقت به ، وأغريت زيداً بكذا حتى غرى به ، ومنه الغراء الذي يغرى به للصوقه ، فالإغراء بالشئ الإلصاق به من جهة التسليط عليه ، فأغريت الكلب أى أولعته بالصيد " بينهم " ظرف للعداوة " والبغضاء " البغض أشار بهذا إلى اليهود والنصارى لتقدم ذكرهما . عن السدى وقتادة بعضهم لبعض عدو، وقيل إشارة إلى افتراق النصارى خاصة ، قاله الربيع بن أنس لأنهم أقرب مذكور ، وذلك أنهم افترقوا إلى اليعاقبة ، والنسطورية ، والملكانية ، وكفر بعضهم بعضاً " (١) ويبين صاحب المنار – رحمه الله – أن الفاء فى قوله تعالى " فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء " إنما هى فاء السببية ، وأن تنكير كلمة " حظ " للتعظيم والتكبير ، فيقول " والفاء فى قوله تعالى " فأغرينا " للسببية أى فكان نسيان حظ عظيم من كتابهم سبباً لوقوعهم فى الأهواء ، والتفرق فى الدين الموجب بمقتضى سنتنا فى البشر للعداوة والبغضاء " (٢) .

وبما سبق يتبين لنا عدة حقائق تخبرنا بها الآيات الكريمة : –

الأولى : أن النصارى لم يختلفوا عن إخوانهم اليهود فى نقض الميثاق الإلهي الذى أخذه عليهم من توحيده – عز وجل – والإيمان بأنبيائه، ورسله والإقرار بنبوة خاتمهم محمد – صلى الله عليه وسلم .

الثانية : أن النصارى سرعان ما نسوا هذا الميثاق كما تدل عليه الفاء فى قوله تعالى " فنسوا " والنسيان معناه هنا الترك المتعمد ، وليس السهو الذى هو من طبائع البشر ، إذ لو كان كذلك ما عاقبهم الله عليه ،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن / للإمام القرطبي – جـ٣ – ص ٢٢١٥ –٢٢١٦ .
(٢) تفسير المنار – جـ٦ – ص ٢٣٧ .

بل هو كمعنى النسيان فى قوله تعالى " نسوا الله فنسيهم " (١) على ما ذكره الإمام الرازى (٢)

الثالثة : أن الله عز وجل – قد عاقبهم على نقض الميثاق ، وكتمان الحق ، بأن ألصق بقلوبهم أشد أنواع الفرقة والاختلاف ، وهى العداوة المستحكمة ، والبغضاء الكاملة ، كما توحى بذلك " ال " فى " العداوة والبغضاء " إذ هى للاستغراق والشمول .

الرابعة : أن هذه الحال من الفرقة والصراع لا تنفك عنهم ، بل هى باقية فيهم إلى يوم القيامة ماداموا مصرين على ما هم عليه من نقض الميثاق الإلهى ، وإذا كان السادة المفسرون قد ذهب بعضهم إلى أن المراد بالضمير الغائب فى قوله تعالى " بينهم " إما أن يكون المقصود به اليهود والنصارى حيث يبغض بعضهم بعضاً ، وإما أن يكون للنصارى وحدهم فيراد به فرقهم ، فإننا نرجح القول الثانى على الأول ، وذلك لسببين :

أولهما : أن النصارى هم أقرب مذكور فى الآية الكريمة ، فالآية الكريمة خاصة بهم دون اليهود الذين سبق الحديث عنهم فى الآية التى قبلها ، وبما أن الضمير يعود على أقرب مذكور ، فيكون المقصود به النصارى .

ثانيهما : هناك آية أخرى – فى سورة المائدة نفسها – تصرح بأن الله – عز وجل – قد عاقب اليهود بإلقاء العداوة بينهم بسبب كفرهم وتطاولهم على مقام الألوهية ، وذلك فى قوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ

---

(١) سورة التوبة : جزء من الآية : ٦٧ .

(٢) يراجع مفاتيح الغيب – جـ١٥ – ص ٨٨ – ط دار الغد العربى .

يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (١) .

(ب) في ميدان تحريفهم لعقيدة التوحيد

وكما نبه القرآن الكريم إلى ذلك الصراع بين النصارى بسبب تحريفهم لكتاب الله - عز وجل - نبه كذلك إلى هذا الإختلاف وذلك الصراع بينهم فى بيانه لما افتروه من عقائد باطلة في شأن عيسى - عليه السلام - ، وقد نبه القرآن الكريم إلى هذا أثناء تفنيده لادعاء اليهود أنهم قتلوا عيسى - عليه السلام - ، وصلبوه ، وتصديق النصارى لتلك الأباطيل ، واعتقادهم أن المسيح - الإله فى زعمهم - قد قتل وصلب فداءً عن البشر ، وفى هذا يقول تعالى ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً * وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا * وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ (٢) وقوله تعالى " وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه فيه قولان "

الأول :

أن الذين اختلفوا فيه هم النصارى ، وذلك بأنهم بأسرهم متفقون على وقوع الصلب ، ثم اختلفوا فيمن وقع عليه الصلب . أهو الناسوت فقط ، أم هو اللاهوت والناسوت .

---

(١) سورة المائدة : آية رقم : ٦٤ .

(٢) سورة النساء : الآيات من ١٥٥-١٥٧ .

الثاني : -

أن يكون الذين اختلفوا فيه هم اليهود ، وقد وقع لهم هذا الاختلاف بسبب الشبيه الذى ألقى عليه شبه عيسى - عليه السلام - حيث كان الوجه وجه عيسى ولم يكن الجسد كذلك ، فذلك اختلافهم فيه . (١)

ونرى أن الآيات الكريمة وإن كانت تعدد افتراءات اليهود على الله - عز وجل - وعلى رسله ، ومنهم عيسى - عليه السلام - حيث إفتروا على أمه بهتاناً مبيناً ، فزعموا أنها قد حملت به من طريق غير شرعية ، ثم زعموا أنهم قتلوه عليه السلام ، ثم صلبوه ، إلا أن الآية الكريمة تنفى وقوع الصلب على عيسى - عليه السلام - أصلاً ، فمع اتفاق اليهود والنصارى على القول بصلب المسيح ، إلا أنهم مختلفون فى ذلك المصلوب - على زعمهم - فهو عند اليهود لا يعدو أن يكون كذاباً دجالاً ، وهو عند النصارى الإله ، أو ابن الإله ، أو ثالث ثلاثة مع الله ، وعليه فإن الذين اختلفوا فيه هم اليهود والنصارى من ناحية ، والفرق النصرانية من ناحية أخرى ، ثم إن الآية الكريمة تنبه إلى معناً فى غاية الأهمية ، ألا وهو أن ذلك الاختلاف راجع إلى اتباع الظن والتظاهر باليقين ، مع أنهم فى حقيقة الأمر فى شك عظيم من أمر الصلب ، ذلك الشك الذى يكشف عنه قوله تعالى " لفى شك منه " فكأن الشك بحر عميق ، وهؤلاء غريقون فيه ، كما نبه القرآن الكريم إلى تلك الصفة اللازمة - لليهود والنصارى - فى شأن عيسى - عليه السلام - فى سورة مريم ، فبعد ما بين الحق تعالى ما تكلم به عيسى - عليه السلام - فى المهد ، قال ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ (٢) وفى معنى يمترون يقول الإمام النيسابورى " ويمترون أى يشكون من المرية ، وهو الشك أو

(١) مفاتيح الغيب / للإمام فخر الدين الرازى - جـ١٠ - ص ٥١٧ - ٥١٨ .

(٢) سورة مريم : آية رقم : ٣٤ .

المراد يتمارون من المراء ، وهو اللجاج والعناد (١) وأحب أن أنبه هنا إلى سر التعبير بالفعل المضارع " يمترون " حيث إنه يدل على استمرارية تلك الصفة فيهم ، وتجددها بتجدد لحظات الزمان ، كما أكد القرآن الكريم على هذا الاختلاف بين اليهود والنصارى من جهة ، وبين الفرق النصرانية من جهة أخرى إلى حد بلغ الغاية فى التعصب والتحزب ، كما قال تعالى " فاختلف الأحزاب من بينهم " يقول الإمام البيضاوى " أى من بين اليهود والنصارى أو فرق النصارى من نسطورية ، ويعقوبية ، وملكانية(٢) ويلاحظ أن الحق سبحانه وتعالى قد ذكر نفس المعنى تقريباً فى سورة الزخرف ، فبعدما قص علينا ما قاله عيسى – عليه السلام – لبنى إسرائيل عندما أرسل إليهم ، حيث قال لهم﴿ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ (٣) بعد هذا قال تعالى " فاختلف الأحزاب من بينهم " وفى هذا ما فيه من التأكيد على هذا المعنى ، وعمق ذلك الاختلاف وبقائه إلى قيام الساعة .

وهكذا كشف القرآن عن طبيعة ذلك الصراع وأنه مستحكم أصيل ، وأن البين من الإتساع بحيث لا يمكن القضاء عليه إلى يوم الدين ، كما بين القرآن الكريم أن هناك سببين رئيسين قد أديا إلى هذا الصراع وهما :

السبب الأول :

تحريف الكتاب الحق المنزل على عيسى – عليه السلام –

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان / الإمام نظام الدين النيسابورى – جـ٣ – ص ٢١٩٧ – ط الأولى ١٩٩٥م – دار الصفوة .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل / للإمام ناصر الدين البيضاوى – جـ٤– ص١٠-١١ – ط دار إحياء التراث العربى .

(٣) سورة الزخرف : الآيتان ٦٢-٦٣ .

السبب الثاني :

اتباع الظن والشك فيما يعتقدون من عقائد ويدعون إليه من أفكار ، ولا شك أن كلا من هذين السببين يستلزم الآخر ، فتحريف الكتاب أدى إلى اتباع الظن ، واتباع الظن أدى إلى تحريف الكتاب ليوافق ظنونهم .

" المبحث الأول "

(الصراع العقدى بين النصارى الموحدين والوثنيين وموقف الإسلام منه)

تمهيد :

إذا كانت دعوة المسيح – عليه السلام – كسائر دعوات أنبياء الله تعالى ورسله ، قائمة على أساس عبادة الله وحده لا شريك له – كما سبق بيان ذلك – فكيف انحرفت أمة المسيح – عليه السلام – عن تلك العقيدة المشرقة ؟ وهوت في تلك المودة من ظلمات الشرك والوثنية ، فادعى أصحابها أن المسيح ليس رسولاً نبياً ، وإنما هو الإله أو ابن الإله ، أو هو الأقنوم الثاني من ثلاثة أقانيم ، يزعم النصارى المثلثون أنها إله واحد ، حتى نجيب عن هذا السؤال لابد وأن نشير إلى الحقائق التالية .

الأولى : أن التوحيد كان أساس دعوة عيسى – عليه السلام – كما يشهد الكتاب المقدس نفسه :

سبق أن بينا ما قرره القرآن الكريم من أن دعوة عيسى – عليه السلام – كانت قائمة على أساس الدعوة إلى وحدانية الله تعالى ، وعلى الرغم مما اجتنف أتباع المسيح – عليه السلام – بعد رفعه من اضطهاد ، وتعذيب ، وعلى الرغم كذلك مما حيك لها من خطط ومؤامرات سعى أصحابها إلى غزو دعوة التوحيد ، واستئصال شأفة أتباعها ، ومع أن تلك الظروف القاسية قد أدت إلى ضياع الإنجيل المنزل على عيسى – عليه السلام – واستعاض عنه الوثنيون بأسفار وأناجيل تنسجم مع معتقداتهم الوثنية ، وتعصف بدعوة التوحيد ، إلا أن كل ذلك لم يستطع أن يمنع ولو شعاعاً خافتاً من نور التوحيد أن يبقى في تلك الأسفار وهذه الأناجيل ، الأمر الذى أوقع الكنائس المسيحية فى حرج عظيم ، بسبب ما تقرره تلك النصوص من وحدانية الله تعالى ، ونبوة عيسى – عليه السلام – وبين ما يريده دعاة الوثنية التثليثية للمسيحية ، الأمر الذى

اضطر المثلثين إلى الإعلان أنهم يعبدون إلهاً واحداً يحتوى على ثلاثة ثمة ، يطلقون عليها (اقانيم) .

ويهمنا ههنا أن نشير إلى بعض هذه النصوص ، ولا سيما التى وردت في أناجيل النصارى المعتمدة لديهم ، وهى أناجيل متى ، لوقا ، ومرقس ، ويوحنا ، فإن سوق بعض هذه النصوص يخدم موضوعنا من ناحيتين .

الأولى : أن مثل هذه النصوص كانت هى الحجة البالغة ، والأدلة الدامغة التى تسلح بها دعاة الوحدانية فى صراعهم مع دعاة الوثنية التثليثية.

الثانية : أن الاحتجاج بها أبلغ على دعاة التثليث إذ أنها مقتبسة من الأناجيل التى أقرتها مجامعهم ، وأجمعت على صحتها كنائسهم ، ومن هذه النصوص ما ورد فى إنجيل (يوحنا) عن المسيح – عليه السلام – حيث قال فى مناجاة ربه " وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته " (١)

ويعلق الشيخ رحمة الله الهندى على هذا النص بقوله " فبين عيسى – عليه السلام – أن الحياة الأبدية عبارة عن أن يعرف الناس أن الله واحد حقيقى ، وأن عيسى – عليه السلام – رسوله ، وما قال إن الحياة الأبدية أن يعرفوا أن ذاتك ثلاثة أقانيم ممتازة بامتياز حقيقى وأن عيسى إنسان وإله ، أو أن عيسى إله مجسم ، ولما كان هذا القول فى خطاب الله فى الدعاء فلا احتمال ههنا للخوف من اليهود ، فلو كان اعتقاد التثليث مدار النجاة لبينه ، وإذ ثبت أن الحياة الأبدية اعتقاد التوحيد الحقيقى لله ، واعتقاد الرسالة للمسيح ، فضدهما يكون موتاً أبدياً وضلالاً بيناً البته ، والتوحيد الحقيقى ضد التثليث الحقيقى ، وكون المسيح رسولاً ضد لكونه إلهاً ، لان التمييز بين المُرسَل والمُرسِل

---

(١) إنجيل يوحنا ص ١٧ – ف ٣ .

ضرورى (١) فهذا النص إذن قطعى الدلالة على أن عيسى – عليه السلام– ما دعى إلا إلى التوحيد ، وما ادّعَى لنفسه إلا الرسالة ، ومن هذه النصوص أيضا ما ورد على لسان المسيح – عليه السلام – فى إجابة بعض الكتبة من اليهود ، وقد سأله " أية وصية هى أول الكل ، فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هى " اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد فأحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هى الوصية الأولى ، وثانية مثلها هى تحب قريبك كنفسك ، ليس وصية أخرى أعظم من هاتين فقال له الكاتب جيد يا معلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه ، ومحبته من كل القلب ، ومن كل الفهم ، ومن كل النفس ، ومن كل القدرة ، ومحبة الغريب كالنفس هى أفضل من جميع المحرقات ، والذبائح ، فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل قال له لست بعيداً عن ملكوت الله " (٢)

وكما حرص المسيح – عليه السلام – على أن يؤكد على وحدانية الله تعالى ، حرص كذلك على أن ينفى عن نفسه العلم بما لا يعلم إلا الله – عز وجل – ، فعندما سئل عن قيام الساعة أجاب قائلاً " وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ، ولا الملائكة الذين فى السماء، ولا الإبن إلا الآب "(٣)

ففى هذا النص ينفى المسيح – عليه السلام – عن نفسه العلم بوقت القيامة ، فأبطل هذا ما يدعيه المثلثون الوثنيون من النصارى من دعوى التثليث والأقنومية ، بل إن من النصوص الإنجيلية ما يدل دلالة قاطعة على حرص المسيح – عليه السلام – وخشيته من أن يرفعه اتباعه إلى فوق مستوى البشرية فعندما دعاه بعض الناس بقوله أيها

---

(١) إظهار الحق / للشيخ رحمة الله الهندى – جـ٢– ص ٧٢٦-٧٢٧ بتحقيق د / محمد أحمد ملكاوى – ط دار الحديث .

(٢) إنجيل مرقس – ص ١٢ – ف ٢٩-٣٤ ، ومتى ص ٢٢– ف ٣٥-٤٥ .

(٣) إنجيل – مرقس – ص ١٢ – ف ٣٢ .

المعلم الصالح ، أجابه المسيح – عليه السلام – قائلا لماذا تدعوني صالحاً ؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد هو الله " (١) هذه هي بعض النصوص الإنجيلية التى تدل على أن توحيد الله تعالى ، كان هو لحمة رسالة المسيح – عليه السلام – وسداها وغيرها كثير (٢) وكما أن هناك نصوصاً فى العهد الجديد تدعو إلى التوحيد كان ولا يزال فى العهد القديم نصوص تدعو إلى نفس المبدأ منها ما جاء فى سفر أشعياء " أنا هو الرب وليس غيرى ، وليس دونى إلهاً شددتك ولم يعرفنى ليعلم الذين هم من مشرق الشمس ، والذين هم من المغرب أنه ليس غيرى ، أنا الرب وليس آخر " (٣) وفى سفر التثنيه لتعلم أن الرب هو الله وليس غيره فاعلم اليوم واقبل بقلبك أن الرب هو الله فى السماء من فوق وعلى الأرض من تحت وليس غيره " (٤) وجاء فى سفر أشعياء " إنى أنا الله وليس غيرى إله ، وليس لى شبيه " (٥) وهكذا تشهد هذه النصوص – وعلى الرغم مما اعتراها من تحريف – بأن وحدانية الله تعالى كانت هى الأصل الأصيل والركن الركين فى رسالتى موسى وعيسى – عليهما السلام – كغيرهما من رسالات الله – عز وجل – لكن هناك عوامل وظروفاً أطاحت بكثير من الموحدين من النصارى ، ودفعت بهم إلى خضم من الخلافات فمنهم من بقى على توحيده متحدياً أمواج الكفر العاتية ، ومنهم من عصفت به رياح الشرك ، فأمسى مشركاً ، أو حيراناً يريد الجمع بين الشرك والتوحيد ، ولقد كان من أقوى هذه العوامل وأشدها قسوة فى مسيرة النصرانية بوجه عام ، ما أنزله الرومان بهم من اضطهادات ، ويبدو لنا ذلك فى الحقيقة الثانية

---

(١) إنجيل متى – ص ١٩ – ف ١٦-١٧ .

(٢) يراجع الفصل الثانى من الباب الرابع من المجلد الثالث من كتاب إظهار الحق فقد خصصه الشيخ لإبطال التثليث بأقوال المسيح عليه السلام .

(٣) سفر أشعياء – ص ٤٥ – ف ٥-٧ .

(٤) سفر التثنية – ص ٤ – ف ٣٥ – ٤٠ .

(٥) سفر أشعياء – ص ٤٦ – ف ٩ .

الحقيقة الثانية : أثر الاضطهادات الرومانية فى إشعال الصراع العقدى بين النصارى :

يصرح عيسى – عليه السلام – برسالة الله – عز وجل – لبنى إسرائيل وهم المعرفون بموقفهم من أنبياء الله تعالى ورسله ، بل ومن الله – عز وجل – نفسه ، ولقد سجلت أسفار لعهد القديم التى بأيدى اليهود انفسهم جوانب عديدة لهذا الانحراف ، لسنا الآن فى مجال التعرض لذكرها .

ولم يكن موقف اليهود من عيسى – عليه السلام – بأحسن من مواقفهم عن سبقه من أنبياء الله تعالى ورسله فقد ادعوا أن عيسى – عليه السلام – قد حملت به أمه من الزنى ، وأنه ليس نبياً ، ولكنه مدّعى كذاب ، ثم تمادوا فى زعمهم فأعلنوا أنهم قد أغروا الحاكم الرومانى بعيسى حتى حكم عليه بالإعدام ، ثم بعدما أعدم صُلب ، وقد فند القرآن الكريم هذه المزاعم وبرّء مريم والمسيح – عليهما السلام – من تلك الافتراءات يقول تعالى ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا * وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (١)

وقد سجلت لنا الأناجيل التى بأيدى النصارى كثيراً من الحوادث التى حاول اليهود خلالها إحراج عيسى – عليه السلام – أو إثارة السلطة الرومانية ضده ، ومنها تلك الحادثة التى خطط لها رؤساء الكهنة والكتبة من اليهود ، جاء فى إنجيل " لوقا " .

---

(١) سورة النساء الآيات : ١٥٥ – ١٥٨

فراقبوه وأرسلوا جواسيس يتراءون أنهم أبرار لكى يمسكوه بكلمة حتى يسلموه إلى حكم الوالى وسلطانه ، فسألوه قائلين يا معلم نعلم أنك بالإستقامة تتكلم وتعلم ولا تتبل الوجوه ، بل بالحق تعلم طريق الله . أيجوز لنا أن نعطى جزية لقيصر أم لا ؟ فشعر بمكرهم . وقال لهم لماذا تجربوننى ؟ أرونى ديناراً لمن الصورة والكتابة فأجابوا وقالوا لقيصر ، فقال لهم أعطوا اذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله " (١)

وهكذا حاول رؤساء الكهنة من اليهود أن يوقعوا بين المسيح – عليه السلام – وبين نظام الحكم الرومانى ، لكنهم فشلوا فى ذلك ، وتواصلت مؤامرات اليهود ضد المسيح – عليه السلام – ومن آمن به حتى انتهت برفعه ونجاته كما عندنا نحن المسلمين ، ومحاكمته وقتله ثم صلبه كما يعتقد النصارى ، ولم ينته الاضطهاد بتلك النهاية للمسيح – عليه السلام – وإنما تواصل من بعده لاتباعه والمنتمين إلى دعوته .

يقول الشيخ أبو زهرة – رحمه الله – " اتفقت المصادر شرقية وغربية ودينية وغير دينية على أن المسيحيين نزل بهم بعد المسيح بلايا وكوارث جعلتهم يستخفون بديانتهم ، ويقرون بها أحياناً ويصمدون للمضطهدين مستشهدين أحياناً أخرى ، وهم فى كلتا الحالين لاشوكة لهم ولا قوة تحميهم ، وتحمى ديانتهم وكتبهم (٢) وقد يسأل سائل هل اليهود وحدهم كانوا هم صناع الفتنة بين الدولة الرومانية وبين النصارى ؟

الحق انه كانت هناك أسباب أخرى جعلت من الإمبراطورية الرومانية – والتى تبسط سيطرتها الإستعمارية على كثير من بقاع العالم ، ومنها فلسطين ومصر وبلاد الشام – سيفاً مسلطاً على أعناق النصارى ، منها اختلاف الدين بين الدولة الرومانية وأتباع المسيح .

---

(١) إنجيل لوقا – ص ٢١ – ف ٢٠ – ٢٥ .

(٢) محاضرات فى النصرانية / للشيخ محمد أبى زهرة – ص ٢٦ – ط الرئاسة العامة بالسعودية .

وفى هذا يقول الأستاذ / حبيب سعيد " رسخ الاعتقاد فى نفس الرومانى أن مدينته وإمبراطوريته ستبقيان أبد الدهر ، هذه كانت عقيدة الوثنية ، ولكن المسيحى آمن فى قرارة نفسه أن المدينة العظيمة ستدمر ، وأن الإمبراطورية بل العالم كله سيزول ، وآمن بأن المملكة الوحيدة الخالدة هى مملكة المسيح وملكوت الله ، والحق أن الكنيسة الأولى آمنت بأن نهاية العالم قريبة على الأبواب ، وذلك لأن التلاميذ الأوّل رأوا المسيح الذى قام من الأموات ، واقتنعوا بأنهم سيرونه فى حياتهم الأرضية مرة ثانية آتيا فى مجد وجلال ليدمر نظام الأشياء الأرضية ، ويدين الأحياء والأموات ، وتوقعوا سقوط مملكة رومية ليقوم على أنقاضها ملكوت الله ، ومن هنا كانت خيانتهم لوطنهم فى عرف الرومان ، ومن هنا كانت كراهيتهم للإمبراطورية الرومانية ، وكانت الدولة فى نظر العالم الوثنى القديم الخير الأسمى ، والمثل الأعلى ، ففى خدمتها والولاء لها تمثلت كل الفضائل الأدبية ، لذلك استعار العالم الرومانى عبادة الإمبراطور من بعض العبادات الشرقية القديمة ، وجعلت الوثنية هذه العبادة أسمى مظاهر الإخلاص والولاء ، ففى الإمبراطور الرومانى تجسمت فكرة الدولة ، وكان المذبح الذى أقيم لعبادته رمزاً للقوة الأدبية العليا فى الدولة ، على أن هذه العبادة حسبها المسيحيون وثنية لا يمكن أن تأتلف مع دينهم الجديد ، وذلك لأن أسمى الأشياء فى نظرهم لم يكن قيصر العظيم ، الرفيع الشأن ولا الإمبراطورية الرومانية القاهرة ، ولا الشعب الرومانى النبيل ، بل كان شيئاً آخر "(١) تلك هى أهم الخلافات العقدية بين الدولة الرومانية والجماعات النصرانية ، وهى – كما ترى – أسباب دينية أخذت أشكالاً سياسية ، فالدولة الرومانية ذات الديانة الوثنية أخذت على عاتقها توحيد إمبراطوريتها المترامية الأطراف عن طريق الحفاظ على وحدة الدين القائم أصلاً على عبادة القياصرة ، والأباطرة ، فإذا أقبلت ديانة جديدة تتنافى مبادئها مع تلك العقائد ، فإن فى هذا خطراً يتهدد الدولة الرومانية من أساسها ، وقد دعّم من ذلك التوجس

---

(١) تاريخ المسيحيين / حبيب سعيد – جـ١ – ص ٥٦-٥٧ – ط الكنيسة الأسقفية .

– من الجماعات النصرانية – جهل السلطات الرومانية بما تقوم به تلك الجماعات من عبادات وطقوس.

وفي هذا يقول الأستاذ (جون لوريمر) " كان من الأسباب الأولية لاضطهاد الرومان للمسيحيين أن السلطات الرومانية لم تعرف بالضبط هدف الطقوس والعقائد المسيحية ، ولأنهم رأوا في عدم عبادتهم للأباطرة خيانة للدولة ، فهذه العبادة هي الطريقة المثلى لتوحيد الإمبراطورية المترامية الأطراف ، والغير المتجانسة لا حضارياً ، ولا دينياً، ولا لغوياً ".(١)

ويضيف الدكتور / (توفيق الطويل) سبباً آخر في اضطهاد الرومان للنصارى ، وهو أن الرومان كانوا يكنون بغضاً شديداً لليهود ، وقد اعتبروا النصرانية إمتداداً لليهودية ، أو أنها اليهودية في مظهر جديد ، وأنها توشك أن تجمع الناس حولها وتدعوهم إلى التعصب ضد الدولة ، ومن ثم كان بداية الاضطهاد لأتباع عيسى – عليه السلام – (٢) وإذا كان النصارى في منظور الدولة الرومانية امتداداً لليهود – وحسب هذا كافياً لاضطهادهم ، فإن الأمر قد اختلف في دعوة النصارى عنه في دعوة اليهود ، فمن المعروف أن اليهود – وإن عاشوا في الدولة الرومانية – إلا أنهم لم ينصهروا فيها اجتماعياً فكانوا يعيشون جماعات منغلقة على نفسها بخلاف الجماعات النصرانية التي كانت تعمل على نشر الدعوة إلى الدين الجديد مما دفع السلطات الرومانية إلى أن ترى في تلك الديانة ، محاولة للإنقسام ، بل ربما للإنقلاب في الدولة الرومانية ، فهرعت السلطات الرومانية إلى ما تملك من أسلحة هائلة ، وقوة رهيبة مسخرة كل ذلك للقضاء على أتباع عيسى – عليه السلام – ، ومن اللافت للنظر أن الاهتمام بشأن القضاء على الجماعات النصرانية لم يكن اهتماماً محلياً ، إنما

---

(١) تاريخ الكنيسة / جون لوريمر – ج ١– ص ٨٩ – ط دار الثقافة .

(٢) الاضطهاد الديني في المسيحية – والإسلام / د : توفيق الطويل – ص٣٢ – ط دار الفكر العربي سنة ١٩٤٧ م .

كان مشروعاً قومياً رومانياً يقوم على الإشراف عليه الإمبراطور نفسه وبالتالي فمن أراد أن يظفر بعطف الإمبراطور ليبقيه على كرسى الحكم، فلابد وأن يتقرب إلى الدولة بالإمعان فى التنكيل بكل من ينتمى إلى تلك الدعوة ، أو يجرى على لسانه اسم المسيح فى جميع أنحاء الدولة الرومانية ، وحتى يستبين القارئ مدى أثر تلك الاضطهادات فى مصادر النصارى وعقائدهم – والتى بدأت فى فترة مبكرة كانت بوادرها فى حياة المسيح نفسه – نطلع القارئ الكريم على أهم تلك الاضطهادات كما سجلتها تواريخ المسيحية .

(أ) اضطهاد نيرون ٦٤ – ٦٨ م : -

وعن هذا الاضطهاد يقول جون لوريمر : " وفى يوليو سنه ٦٤م شب حريق هائل فى روما ظل ستة أيام ، ودمر الجزء الاكبر من تلك المدينة الخالدة ، ولم يعرف للآن بالضبط السبب الذى كان وراء ذلك الحريق ، ولكن الإشاعات بدأت تحوم حول الإمبراطور نفسه ، وكان من الطبيعى أن يجعل نيرون من المسيحيين كبشاً للفداء ، لانهم كانوا مكروهين من الناس ، ولم يكتف بقتلهم فقط ، بل استخدموا وسيلة لتسلية أهل روما ، فألبسوا جلود حيوانات وحُبسوا فى أقفاص الكلاب المتوحشة ، وفتكت بهم ، وصُلب البعض ليضيئوا حدائق روما ليلاً ، وقد فتح نيرون أبواب حدائقه ليرى الناس كل هذا واختلط هو بينهم فى ملابس سائق عربة (١)

(ب) الإضطهاد فى عهد تراجان سنة ١١٢م :

وبعد نيرون خلفه مجموعة من القياصرة من أمثال " دوميتيان "، "إغنا طيوس " ، هادريان ، كلهم ساروا على منهج نيرون فى الإمعان فى

(١) براجع تاريخ الكنيسة جـ١ ص ٩١ ، ويراجع ايضا تاريخ المسيحين / عوض سمان ص ٥٤-٥٦ .

تعذيب النصارى والتخلص منهم (١) لكن أقسى هؤلاء على النصارى كان الإمبراطور " تراجان " .

" وقد كان تراجان يضارع نيرون فى القسوة والوحشية ، إن لم يكن يزيد عليه ، فقد أوصى عماله بتتبع النصارى ومحاكمتهم والقضاء عليهم ، وأكبر شاهد على هذا ما سجله التاريخ من ذلك الخطاب الذى بعث إليه عامله بلين ، وكان والياً فى آسيا يشرح له فيه كيفية معاملته للنصارى فقال " جربت مع من إتهموا بأنهم نصارى على الطريقة الآتية، وهو إنى أسألهم فإذا أقروا أعيد عليهم السؤال ثانية ، وثالثة مهدداً بالقتل ، فإذا أصروا أنفذت عقوبة الإعدام فيهم مقتنعاً بأن غلطهم الشنيع ، وعنادهم الشديد يستحقان هذه العقوبة ، وقد وجهت التهمة إلى كثيرين بكتب لم تُذيّل بأسماء أصحابها ، فانكروا أنهم نصارى ، وكرروا الصلاة على الأرباب الذين ذكرت أسماؤهم أمامهم ، وقدموا الخمور والبخور لتمثال أتيت بهم عمداً مع تماثيل الأرباب ، بل أنهم شتموا المسيح، ويقال إن من الصعب إكراه النصارى الحقيقيين ومنهم من اعترفوا بأنهم نصارى ، ولكنهم يثبتون بأن جريمتهم فى أنهم إجتمعوا فى بعض الأيام قبل طلوع الشمس على عبادة المسيح ، على أنه إله ، وعلى إنشاد الأناشيد إكراما له ، وتعاهدوا بينهم لا على ارتكابهم جريمة ، بل على ألا يسرقوا ولا يقتلوا ولا يزنوا ، وأن يوفوا بعهدهم ، ورأيت من الضرورى لمعرفة الحقيقة أن أعزب امرأتين ذكر أنهما خادمتا الكنيسة ، بيد أنى لم أقف على شئ سوى خرافة سخيفة مبالغ فيها " (٢) وهذه الرسالة تبين إلى أى مدى كان عداء هذا الإمبراطور ، وأمرائه للنصارى ، حتى كانوا يقتلون من يشكون بمجرد شك فى إنتمائه إلى المسيح ، ثم جاء بعد ذلك الإمبراطور " ديسيوس " فكان على المسيحيين أدهى وأمر . ويذكر ابن البطريق بعض سياسة هذا الإمبراطور فى معاملة المسيحيين

---

(١) المرجع السابق

(٢) تاريخ الكنيسة – جـ ١ – ص ٩٢ .

فيقول " أبعد هذا الإمبراطور كل مسيحي من خدمة الدولة مهما يكن ذكاؤه ، وكل مسيحي يرشد عنه يأتي به على عجل ، ويقدم إلى هيكل الأوثان ويطلب منه تقديم ذبيحة لآلهتهم ، وعقاب من يرفض تقديم الذبيحة أن يكون هو الذبيحة ، بعد أن يجتهدوا في جَمد" بالترهيب ومن ضعاف الإيمان من أنكر مسيحيته " (١) وفي أواخر القرن الثالث الميلادي ، وبالتحديد في عهد الإمبراطور " قلديانوس " سنه ٢٨٤م فقد صمم الإمبراطور على ألا يكف عن قتل المسيحيين حتى تصل دماؤهم إلى ركبة فرسه وفعلاً نفذ عزمه وراح يطوف بفرسه في بحر من دماء القتلى، وقد هدم كنائس المسيحيين ، وأحرق كتبهم المقدسة وأعدمها ، وقبض على أساقفتهم وأذاقهم كل صنوف العذاب ، وأغرقهم في مذابح دامية لم يسبق لها نظير في التاريخ (٢) وهكذا ظلت سيوف قياصرة الرومان تضرب أعناق النصارى وسياطهم تلهب أجسادهم ، ونيرانهم تحرقهم وتحرق كتبهم قبلهم حتى مطلع القرن الرابع الميلادي ، وبالتحديد في سنة ٣١٣م ، عندما أصدر قسطنطين الكبير قراره بالتسامح الديني في كل أنحاء الإمبراطورية شرقاً وغرباً ، ووضعت المسيحية على قدم المساواة مع الوثنية كعقيدة شخصية تتبع ضمير الأفراد ، وغدا كل إنسان حراً ليختار ما يشاء من عقيدة وعبادة ، ومنح المسيحيون حرية إقامة فرائض دينهم ، وردت إليهم كنائسهم المصادرة وأموالهم المنهوبة.(٣)

ولا شك أن هذه الفترة الطويلة من تلك الإضطهادات الوحشية كان لها الأثر الأكبر في ضياع الإنجيل المنزل على عيسى – عليه السلام – والذى كان يحتوى على مبادئ الدين الحق ، ولا سيما وأن تلك الإضطهادات كانت لأسباب دينية ذات صفة سياسية ، وأنها كانت تستهدف بالدرجة الأ ل الإنجيل باعتبارة المصدر والمورد لتلك العقائد المعادية لعقائد الرومان ، كما أنها كانت تستهدف بعد ذلك رجال الدين وعلماؤه ، وبالتالى اضطر من

(١) تاريخ ابن البطريق – نقلا عن محاضرات في النصرانية ص ٣٨-٣٩

(٢) الإضطهاد الديني في المسيحية والإسلام – ص ٣٩ .

(٣) تاريخ المسيحية – جـ ١ – ص ١٤١ .

تحى من سياط الرومان بالا يمارس شعائر دينه إلا في سرية كاملة ، فيؤدى هذا بلا شك إلى أن يدخل أصحاب الأهواء ما شاءوا ، ويلصقوا ما ارادوا بديانة عيسى – عليه السلام – فإذا تغيرت الأحوال وكفلت الحرية – كما صنع قسطنطين – كان من الحتمى أن يُوحد النزاع ، وأن تتقد نيران الصراع ، وخاصة فى ظل ضياع الكتاب الحق الذى من شأنه أن يقضى بين المتخاصمين ، ويحكم بين المختلفين .

بداية ظهور الصراع بين الموحدين من النصارى والوثنيين

ما إن أصدر قسطنيطين مرسوم التسامح الدينى ، حتى ظهرت معه كثير من الخلافات فى شأن عيسى – عليه السلام – وهل كان بشراً عادياً أم كان له منزلة فوق منزلة البشر ، وفى هذا يقول " جون لوريمر "

" ومع أن المناقشات اللاهوتية بين الكنائس كانت لها جوانبها الإيجابية ، لكنها أدت إلى العداء ومشاعر المرارة بين قادة الكنائس ، وقد نظر " يوسابيوس " المؤرخ الكنسى إلى ذلك العصر نظرة تشاؤمية ، وكتب فى أواخر ذلك القرن يقول " نتيجة للحرية أصبح الكبرياء والفتور يسودانا فى أكل أمورنا ، فأصبحنا نحسد بعضنا بعضاً ، ويعادى أحدنا الآخر ، ونحارب بعضنا بعضاً بأسلحة الكلام ، فالحاكم يهاجم الحاكم، وينقسم عامة الشعب إلى أحزاب وطوائف ، بينما يملؤهم الرياء الكاذب والتظاهر ، لتغطية حياتهم الشريرة إلى النهاية ، ولكن صراعات أشرس كانت تنتظر الكنيسة فى القرن الرابع " .(١) وهكذا يشهد ذلك المؤرخ النصرانى بأنه ما إن اشتم الناس رائحة الحرية بعد المرسوم القسطنطينى حتى بدت معه نيران متأججة من النزاعات والخلافات كان الكبر والإصرار على الرأى هما السمتين المميزتين له ، وبما أننا فى معرض الحديث عن الصراع العقدى بين النصارى الموحدين ، والذين

---

(١) تاريخ الكنيسة – جـ ٢ – ص ١٠٢ .

يحليون إلى القول بألوهية المسيح ، وبالتالي إلى التثليث ، فإننا نسلط الضوء على أهم الحركات التي كانت تعتقد بأن المسيح عبد الله ، وليس إلهاً مع الله، وأقوى هذه الحركات ، كما أجمع علماء اللاهوت من النصارى أنفسهم هي الحركة الأريوسية .

الأريوسية ومبادؤها : -

تنسب هذه الحركة – والتى بدأت فى الظهور والإنتشار فى مطلع القرن الرابع الميلادى – إلى رجل يسمى آريوس . فماذا قالت تواريخ الكنيسة عن هذه الشخصية التي أحدثت تلك الآثار المدوية ، والتى يعتبرها النصارى إحدى الهرطقات والبدع الكبرى فى تاريخ المسيحية ؟

وفى هذا يقول حبيب سعيد " ومنذ أوائل القرن الثالث برزت بقرونها هرطقة أخرى ، كانت على الكنيسة أشد خطراً من سائر الهرطقات وهى الهرطقة الأريوسية (١) وعن اريوس يقول " جون لوريمر " " رُسِّم آريوس قساً فى الإسكندرية فى سنة ٣١٠ أو ٣١١ م ، وأوكلت إليه مسئولية الكنيسة فى " بوكاليس " يقال إنه كان إنساناً متقشفاً بسيطاً فى معيشته رقيقاً ، لبقاً فى حديثه ، وكان شخصية محترمة جداً "

ويقول " إيريل كيرنز " " يجب أن نتذكر أن الكنيسة كان عليها دائما أن تحارب فكر التوحيديين من جهة المسيح ، فالاتجاهات التوحيدية ترجع جذور أفكارها إلى الآريوسية فى عام ٣١٨ ، ٣١٩م ألقى الإسكندر أسقف الإسكندرية عظة على أساقفة كنيسته ، كان عنوانها (السر العظيم لوحدة الثالوث) وكان أحد الأساقفة الموجودين هو آريوس . ى كان ناسكاً عالماً ، وواعظاً محبوباً ، وقد هاجم آريوس هذه العظة التى ألقاها الأسقف لأنه اعتقد أنها فشلت فى أن تبرر التميز بين أقانيم الثالوث ، وإذا كان آريوس يحاول أن يتجنب أن يكون إدراك الناس عن الله يشوبه أى شبهة من الإيمان بتعدد الآلهة ، إلا أنه اتخذ موقفاً لا ينصف

---

(١) تاريخ الكنيسة / ٣٥ – ص ٣٩، ٤٠ .

المسيح بالاعتراف بلاهوته الكامل . كانت هذه القضية فى طبيعتها تتعلق بمفهوم الخلاص ، هل يستطيع المسيح أن يخلص البشر لو أنه مجرد نصف إله ، أقل من كونه الله ذاته ، وأنه من جوهر مشابه لجوهر الآب كما قال يوسانيوس ، أو من جوهر مختلف كما قال يوسابيوس (١) ومن هذا يتبين لنا عدة حقائق تاريخية : -

الأولى : أن آريوس هذا كان صاحب شخصية تتسم بالأدب والتواضع والرقى الأخلاقى ، وبالتالى فهو ليس من هؤلاء المستكبرين الذين يعرفون الحق ، ثم يصرون على الباطل .

الثانية : أنه كان ورعاً زاهداً ، وبالتالى فلم يأت بهذه الدعوة طمعاً فى رئاسة ، أو طلباً لسلطة .

الثالثة : أنه كان محبوباً بين الناس للأخلاق السالف ذكرها .

الرابعة : أنه رُسم أسقفاً فى حوالى سنة ٣١٠م ، ولم يحدث بينه وبين بابا الإسكندرية صدام إلا فى سنة ٣١٨م ، وفى تلك المحاضرة المشهودة التى ألقاها بابا الإسكندرية معلناً فيها عقيدته فى الوهية المسيح ، وكان اريوس ظل ثلاثة أعوام فى زمن الإضطهاد من سنة ٣١٠م إلى ٣١٣م وهى السنة التى أصدر فيها قسطنطين مرسوم التسامح الدينى، وخمس سنوات بعدها من سنة ٣١٣م إلى سنة ٣١٨ م يعلم الناس فى كنيسته عقيدته فى المسيح بكل ثقة واطمئنان ، وكان يتلقون تعاليمه بالرضا والتسليم ، وكان العقيدة التى كانت سائدة فى ذاك الوقت بين النصارى من المصريين كانت هى القول بأن المسيح ليس إلهاً ، وإلا فكيف قضى أريوس ثمانى سنوات يعلم الناس فى كنيسته دون معارضة ، أو شكوى لبابا الإسكندرية ؟

---

(١) المسيحية عبر العصور / إريل كيرنز – ترجمة عاطف ما مى برنابا – ص ١٥٢ ط دار نوبار للطباعة .

عقيدة آريوس فى المسيح – عليه السلام :-

" وطبقاً لرأى آريوس فإن المسيح لابد أن يكون كائناً وسطاً أعظم من الإنسان ، وأقل من الله " (١)

وإذا كانت هذه هى عقيدة آريوس فى المسيح – عليه السلام – فقد جهر بها كما يقول حبيب سعيد " أعلن آريوس جهاراً على الملأ أن المسيح لم يكن إلهاً ، بل هو كائن وسط بين الله والإنسان ، وهو ليس من جوهر الله ، ولم يكن أزلياً ، وقد حبك دعواه فى عبارات خلابة حتى ظن الكثيرون أنه يقول الحق " (٢)

وإذا تأملنا ما نقله هذان المؤرخان المسيحيان ، نرى أن عقيدة آريوس كانت هى العقيدة الصحيحة التى أقرها الإسلام ، فالمسيح من ناحية ليس إلهاً ، وليس بشراً عادياً ، وإنما هو بشر نبى فُضل على غيره من البشر بالرسالة والنبوة ، فهو كغيره من رسل الله – عز وجل – واسطة بين الله وعباده .

علام اعتمد آريوس فى تقرير هذه العقيدة :-

يجيب عن هذا جون لوريمر بقوله " وكما يحدث فى كل جدل لاهوتى تمكن آريوس من دعم موقفه بآيات من الكتاب المقدس (٣) ومعنى هذا أن آريوس كان لديه من النصوص الإنجيلية ما يدعم به موقفه ، وما يدافع من خلاله عن عقيدته من وحدانية الله – عز وجل – ونبوة المسيح – عليه السلام-

---

(١) تاريخ الكنيسة – جـ ٣ – ص ٤١ .

(٢) تاريخ المسيحية – جـ ١ – ص ٤٧ .

(٣) تاريخ الكنيسة – جـ ٣ – ص ٤١ .

هل كان آريوس مبتدعاً لهذه العقيدة :-

يقول صاحب تاريخ الكنيسة " هناك خلفية لنشاط آريوس تعود إلى وقت أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م) فقد أثار السابليانيون مسالة علاقة المسيح بالآب ، فيما يعرف بالفكر اللاهوتي الملكي ، فقد علّم السابليانيون (في روما في القرن الثالث) بأن المسيح كان شكلاً أو ظهوراً لله الآب ورداً على موقف السابليانيين ، فإن أحد تلاميذ أوريجانوس ويدعى " ديونسيوس " وهو البطريك الرابع عشر للإسكندرية (٢٤٦-٢٦٤م) اتخذ موقفاً متطرفاً قائلاً ، لم يكن أبن الله واحداً من الآب ، بل كائناً آخر مختلفاً عن الآب كاختلاف الكرمة عن الكرام ، والقارب عن صانع القوارب ، الإبن قد خلق ، ومع أن " ديونسيوس " عدل عن موقفه فيما بعد ، إلا أن تأثيره على أريوس لا ينكر ، وهناك معلم آخر اسمه " لوشيان " من أنطاكية كان له تأثير مباشر أقوى على أريوس ، وكان ينادي بأن المسيح مع انه كان له وجود سابق إلا أن وجوده لم يكن من قبل كل الأزل ، ويقول البعض إن " لوشيان " هو الأب الروحي للأريوسية وهكذا فلم يكن أريوس أول لاهوتي يدافع عن وحدانية الله تعالى ، وبشرية المسيح ، وإنما سُبق بهؤلاء العلماء الذين – وإن اختلفت أزمانهم ، وتباينت أماكنهم -، فعاش بعضهم في الإسكندرية ، وبعضهم في أنطاكية وغيرهما – إلا أن عقيدة التوحيد هي التي وحدت فكرهم ، وما بقى من الإنجيل الحق كان هو السند والمعتمد لهؤلاء أجمعين .

بولس الساموساتي ينكر فكرة الإتحاد ويدعو إلى عقيدة التوحيد:

ومن الشخصيات التي كان لها أثرها الفكري ومنهاجها العقدي في منتصف القرن الثالث الميلادي " بولس الساموساتي " أسقف أنطاكية ، حيث كان ينكر فكرة إتحاد الله بالمسيح ، ويدعو إلى عقيدة التوحيد ، ويعلن أن عيسى – عليه السلام – بشر ، لكنه فضل بالنبوة والرسالة ، وعنه يقول صاحب " تاريخ الكنيسة " " أختير هذا الرجل أسقفاً

لأنطاكية فى سنة ٢٦٠م ولأنه كان مفضلاً عند الملكة " زنوبيا " ملكة تدمر ، فقد اختارته أيضاً وزيراً للمالية .

ويقول " يوسابيوس " أنه صار غنياً ، وكان يلبس أفخر الثياب ، وبنى لنفسه عرشاً فى الكنيسة ، وكان يقوم بالخدمة كأمير ، وليس كخادم للكنيسة ، وقد حكم عليه بالهرطقة بمجمع أنطاكية سنة ٢٦٨م ، ولكن تأييد الملكة زنوبيا له أبقاه فى مقر الأسقفية ، وما وصل إلينا من تاريخ حياته جاء من جانب واحد ، هو جانب أعدائه حيث حكم عليه بالهرطقة ، وفى سنة ٢٧٢م تمكن الإمبراطور أوريليان من هزيمة الملكة زنوبيا وأسرها ، فتقدم بولس الساموساتى بالتماس إلى الإمبراطور فأبقاه فى مقر الأسقفية ، وأعلن الامبراطور أن البيت يملكه أولئك الذين هم شركة مع أساقفة المسيحية فى روما ، ويعتبر هذا الحكم فى غاية الاهمية ، فهو يكشف عن أن الحكومة بدأت تعترف بسلطان الكنيسة ، وأن تأثيرها بدأ يكون له إعتباره .

عقيدة بولس الساموساتى فى المسيح :

يقول الساموساتى أن ناسوت المسيح قد تضاءل فى عقيدة المسيح التى تبناها أوريجانوس ، فهو لم يفكر فى اللوجوس كأقنوم متميز فى اللاهوت ، بل كصفة لله نفسه بواسطتها ألهم الإنسان يسوع المسيح ورفعه ، وقال إن الاتحاد الجوهرى بين شخصين مستحيل ، أما الممكن فهو اتحاد الغرض والإرادة ، وكتب يقول " الطبائع المختلفة والأشخاص المختلفين ، ليس إلا طريقة واحدة للاتحاد هو اتحاد الإرادة ، ولكن الساموساتى كان يعتقد أيضاً أن يسوع كان أكثر من إنسان عادى ، فقد أعطاه الله العقل الإلهى.

وعاش مع الله تماماً يحبه ويتمم إرادته الكاملة فى كل شئ (1)

(١) تاريخ الكنيسة – جـ ٢ –ص ١٠١- ١٠٢ .

ومن هذا النص يتبين لنا ما يلي :

أن بولس الساموساتي هذا كان ينكر تماما فكرة الاتحاد بين الله والمسيح

وأنه كان يرى أن المسيح مجرد إنسان اصطفاه الله – عز وجل – وأعطاه من علمه .

أن إرادة المسيح – عليه السلام – لم تكن تخرج عن إرادة الله تعالى ، فقد كان منفذاً لها .

أنه كان يدعو إلى هذه العقيدة ، ويعلمها فى انطاكية ، وكانت تؤيده فى دعوته تلك الملكة " زنوبيا " فلما تمكن أعداؤها من القضاء عليها حاكموا بولس وحكموا عليه بالهرطقة والكفر .

هـ – أن تاريخ بولس الساموساتي لم ينقل إلا عن طريق أعدائه ، وبالتالى فلم ينصفوا فى عرض دعوته ولا فى بيان أدلته .

وهكذا فلم يكن أريوس هو المنكر الوحيد لألوهية (عيسى – عليه السلام – المثبت لنبوته ، وإنما كان حلقة وضاءة من حلقات الموحدين الذين ثبتوا على توحيدهم رغم فظاعة الإضطهادات وقسوة الرومان .

منهج كنيسة الإسكندرية فى التصدى للدعوة الآريوسية :

سبق أن ذكرنا أن اريوس كان أسقفاً فى الإسكندرية ، وأنه قد اعترض على مضمون تلك المحاضرة التى القاها إسكندر رئيس كنيسة الإسكندرية التى كان يعلم فيها أن المسيح إله ، ومتحد مع الله ، وهذا هو السر العظيم المُعنون به لمحاضرته ، وبانتهاء هذه المحاضرة ، ومعارضة

أريوس لما جاء فيها بدأت تلك الحلقة من حلقات الصراع الضاري بين أريوس الذى رفع راية التوحيد ، وبين بابا الإسكندرية الذى أبى إلا أن يدعى ألوهية المسيح ، ويقاوم دعوة التوحيد وكعادة رجال الكنيسة عندما يفلسون فى مقارعة الحجة بالحجة ، ومقابلة البرهان بالبرهان ، يلجأون إلى عقد المجامع المحلية ، أو المسكونية لإستخراج قرارت العزل والحرمان لمن يخالف هواهم ، ويتحدى مذهبهم ، ولم ينجُ أريوس من هذه الإجراءات الكنسية .

يقول جون لوريمر " لما نشر أريوس تعليمه حول الإسكندرية وجذب إليه أتباعاً من داخل الكنيسة اتخذ إسكندر أسقف الإسكندرية خطوات للحد من الحركة ، فدعا مجمع الإسكندرية للإنعقاد فى محاولة لتسوية المشكلة بهدوء ، إلا أن هذا أدى لمزيد من الخلاف ، فقد جمع أريوس رفاقه وأتباعه وتحدى سلطة إسكندر ، وعندما اتسع الجدل نجح الأسقف إسكندر يسانده مائة من قادة الكنيسة فى عزل اريوس وكثيرين من اتباعه ، وبرغم أن أريوس لم يكن منفيا ، إلا أنه سافر إلى قيصرية حيث إستغل مساعدة يوسابيوس أسقف نيقوميدية الذى تعاطف مع الأريوسية ، وكان ذا نفوذ عظيم فى الكنيسة فى الشرق [1] ومن هذا يتبين أن بابا الإسكندرية قد عجز عن مواجهة الدعوة الأريوسية عندما حاول إقناع أريوس وأتباعه بالعدول عن عقيدتهم ، فلقد كان أريوس من الثبات والإصرار بحيث لا تجدى معه وسائل الكنيسة ترغيباً أو ترهيباً ، ولقد كان أتباعه من القوة والكثرة بمكان ، لكن بابا الإسكندرية لم ييأس فعقد هو ومائة من أتباعه مجمعاً لعزل أريوس من كنيسته ، لكن أريوس لم يعبأ بهذا القرار ، وسعى إلى الالتقاء بأسقف نيقوميدية لاتفاقهما فى العقيدة فيما يتعلق بعلاقة الله بالمسيح .

---

(١) تاريخ الكنيسة – جـ ٣ – ص ٤٢ .

آريوس يعقد مجمعاً لتأييد مذهبه والرد على القائلين بألوهية المسيح :

وبمساعدة الأسقف يوسابيوس انعقد مجمع فى بيثينية بآسيا الصغرى للموافقة على وجهة نظر آريوس ، ومطالبة الأسقف إسكندر بأن يعدل عن موقفه ، حينئذ رجع آريوس للإسكندرية ، ليشرع فى حملة جديدة بنفسه ، وتم توزيع النشرات ووضع الأغانى العامة لتعليم الشعب (سواء أدركوا المعنى اللاهوتى أم لا) وقد كتب آريوس قصيدة شعرية طويلة إسمها ثاليا يمتدح فيها أفكاره ، ويقال إن الحركة أصبحت حديث الساعة فى شوارع الإسكندرية (١) .

وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على قوة موقف آريوس وكثرة رجال الدين الذين كانوا يوافقونه فى عقيدته إلى الحد الذى استطاعوا معه أن يعقدوا مجمعاً للرد على مدعى ألوهية المسيح (عليه السلام) .

ثم إن فى عودة آريوس إلى الإسكندرية مرة أخرى ونظمهُ قصيدة يعلن فيها عقيدته ، وينشر من خلالها مبادئهُ ، فى ذلك ما يدل على أن عقيدة آريوس لم تكن لها معارضة فى الشارع المصرى ، ولا بين عامة النصارى فى الإسكندرية . الأمر الذى يشيى بأن عقيدة التوحيد كانت عقيدة عدد غير قليل إن لم تكن عقيدة السواد الأعظم من النصارى إذ ذاك .

انتشار الخلاف إلى الحد الذى أفزع الدولة الرومانية :

ولم ينجح أى من المجمعين الذى عقده إسكندر فى تأييد القول بألوهية المسيح ، أو الذى عقده آريوس لدعم عقيدته فى وحدانية الله ،

---

(١) المرجع السابق – ص ٤٣ .

ونبوة المسيح . لم ينجح أي منهما في القضاء على ذلك الصراع بين التوحيد والوثنية ، وإنما أدى إلى اتساع هوته وضراوته ، حتى كاد الأمرُ يصل إلى حد الفتنة والانقسام في الإمبراطورية الرومانية ، الأمر الذى يستدعى تدخلاً سريعاً من الإمبراطور نفسه ، والذى كان يعانى فى بداية حكمه من صراعات سياسية ، ونزاع على الملك (وكان الإمبراطور قسطنطين قد انتصر حديثاً على ليسبتون أخيه المنافس له فى الإمبراطورية ، واغتمم عندما علم بوجود خلافات فى الكنيسة ، فكتب خطاباً مشتركاً لأريوس وإسكندر ، وأرسله بيد " هوسيوس " اسقف قرطبة ، وهو واحد من أقرب مشيريه فى شئون الكنيسة ، ولما كان الإمبراطور غير مقدر تماماً لخطورة الموضوع ، حاول أن يهون من شأنه فكتب قائلاً " إنه بعد أن تقصى بعناية ودقة أصل واساس هذه الخلافات، وجد أن السبب فى الحقيقة شئ تافه ، ولا يستحق مثل هذا النزاع الشرس ، وأضاف أن المناقشة يجب أن يقصد بها مجرد رياضة عقلية ، وألا تعرض بتسرع فى الاجتماعات الشعبية والعامة ، وألا يعهد بها إلى أذن المجتمع بدون تعقل (١) .

ومن الواضح أن قسطنطين لم يكن يعنيه هذا الخلاف (من الناحية العقدية) فى قليل أو كثير ، وإنما كان كل الذى يعنيه أن يحافظ على وحدة مملكته ، وألا يدع شيئاً مهما كان يتهدد تلك الإمبراطورية بدليل أنه قد أعلن فى رسالته التى بعثها إلى كل من إسكندر وأريوس أن الخلاف بينهما يسيرٌ وشكلي ، ولم يكن كذلك أبداً ، وما كان له أن يزول بهذه الرسالة السياسية التى أراد من خلالها قسطنطين أن يرضى جـ م الأطراف .

(وقد تنبه هوسيوس المستشار الدينى لقسطنطين إلى أن الموقف أخطر بكثير مما ظن الإمبراطور ، وأنه يستدعى خطوات أكثر حسماً من

---

(١) تاريخ الكنيسة – جـ٢ – ص ٤٣، ٤٤ .

بمجرد كتابة الرسالة ، واقتنع الملك بضرورة أن يعقد مجمعاً عاماً أو مسكونياً لحسم ذلك الخلاف . (١)

الصراع العقدي بين التوحيد والتثليث في مجمع نيقية سنه ٣٢٥م

يبدو مما سبق أن قسطنطين قد اقتنع برأي مستشاريه في ضرورة عقد هذا المجمع محاولة للقضاء على الخلاف ، وهذا ما قررهُ " جون لوريمر " في تاريخه ، لكن القس " منسي حنا " يحاول أن يعطي لكنيسة الإسكندرية أهمية ، فهو يدعي أن قسطنطين قد دعا إلى عقد المجمع بناء على طلب إسكندر بابا الإسكندرية ، فهو يقول " مجمع نيقية يسمى المجمع المسكوني (٢) الأول ، وكان الداعي لانعقاده انتشار بدعة اريوس الهرطوقي، واضطراب الكنيسة ، وانزعاج المؤمنين بسببها . فكتب القديس إلكسندروس بابا الإسكندرية إلى الملك قسطنطين الكبير طالبا منه عقد مجمع مسكوني لفض هذا النزاع ، وتقرير مسائل أخرى مختلف عليها ، وذهب أوسيوس أسقف قرطبة إلى الملك ، وطلب منه نفس الطلب فارتضى قسطنطين ، وكتب منشوراً يستدعي فيه جميع أساقفة المملكة للإجتماع في مدينة نيقية فلبى الدعوى حالاً ٣١٨ أسقفاً من كل أقاليم العالم المسيحي (٣).

وإذا كان منسى حنا يدعي أن عدد الحاضرين كان لا يزيد عن ٣١٨ أسقفاً ، فإن غيره من مؤرخي الكنيسة يذكر أن عدد الحاضرين كان يربو على الألفين .

---

(١) المرجع السابق : ص ٤٤ .

(٢) المجامع عند النصارى نوعان : مجامع علية وهي الخاصة باجتماع رجال الدين في قطر معين ، ومجامع مسكونية نسبة إلى جميع الأرض المسكونة أي يجب أن يحضره ممثل على الأقل لكل كنيسة .

(٣) تاريخ الكنيسة القبطية : ص ١٩١ – ط المحبة .

وفي هذا يقول ابن البطريق في تاريخه " بعث الملك قسطنطين إلى جميع البلدان ، فجمع البطاركة والأساقفة ، فاجتمع في مدينة نيقية ثمانية وأربعون وألفان من الأساقفة ، وكانوا مختلفين في الآراء والأديان (١)

ولا يخفى أن ادعاء منسى حنا بأن الحاضرين كانوا ٣١٨ أسقفاً لا أكثر من ذلك ، يريد من ورائه أن يوهم القارئ بأن كل الحاضرين كانوا مجمعين على أن المسيح إله ولم يخالف في ذلك أحد ، أما إذا كان العدد أكثر من ألفين (كما ذكر ابن البطريق) فإن معنى ذلك أن الذين أقروا بألوهية المسيح كانوا أقل من ربع الحاضرين ، وتكاد تجمع تواريخ المسيحية على أن الذين حضروا مجمع نيقية كانوا أحزاباً وفرقاً كثيرة يأتي في مقدمتها ثلاثة أحزاب . عنها يقول " إيريل كيرنز " " وفي مجمع نيقية عرضت ثلاثة آراء محددة ، آريوس ويدعمه يوسابيوس أسقف نيقوميدية الذي ينبغي التمييز بينه وبين يوسابيوس " القيصري " ومعهم أقلية من الحاضرين كانوا جميعاً يصرون على أن المسيح كان من جوهر مغاير لجوهر الآب ، وأنه بسبب فضائل حياته وطاعته لمشيئة الله اعتبر إلهاً ، وكان آريوس يؤمن بأن المسيح مخلوق من عدم أقل من الآب ، وخاضع له ، وأنه من جوهر مختلف عن جوهر الآب وأن المسيح ليس مساوياً للآب لا في الجوهر ، ولا في الوجود الأزلي ، ولا في السلطان ، كان المسيح بالنسبة لآريوس إلهياً ولكنه لم يكن إلهاً .

صار إثناسيوس تقريباً (٢٩٥-٣٧٣) هو الدافع الأساسي عما تبلور ليصبح الرأي القويم ، كان والداه الثريان قد أتاحا له تلقي تعليمه اللاهوتي في مدرسة الإسكندرية الشهيرة ، ويقدم (كتابه التجسد) د.. أثناسيوس من جهة عقيدة المسيح ، وقد أصر هذا الشاب الذي كان عمره يزيد قليلاً عن الثلاثين في مجمع نيقية على أن المسيح موجود قبل كل الدهور مع الآب ، وهو من نفس جوهر الآب ، وذلك بالرغم من كونه

---

(١) محاضرات في النصرانية : ص ١٥٢ – ط الرئاسة العامة بالسعودية .

اقنوماً له شخصيته المتميزة عن الآب ، لقد أصر على هذه الأشياء لأنه كان يؤمن أنه لو كان المسيح أقل مما وصفه لما استطاع أن يكون مخلص البشر ، كانت قضية خلاص الإنسان الأبدى مرتبطة بالعلاقة ما بين الآب والإبن كما رآها أثناسيوس ، لقد نادى متمسكاً بأن المسيح مساوٍ للآب وأزلى ومساو له فى الجوهر ، وقد عانى أثناسيوس بسبب هذه الآراء إذ نفى خمس مرات.أما الحزب الأكبر فى مجمع نيقية فقد كان يقوده العالم الوديع مؤرخ الكنيسة يورسابيوس القيصرى الذى دفعه بغضه للجدل والنزاع إلى تقديم رأى كان يرجو أن يكون مقبولاً ، دمج فيه أفضل الآراء من كلا المعسكرين معكسر أريوس ومعسكر أثناسيوس ، وفى بداية الأمر اتبع أكثر من مائتى شخص من الحاضرين آراء يوسابيوس كان يقول إن المسيح لم يخلق من العدم ، كما كان يقول أريوس ، لكنه مولود من الآب قبل كل الدهور أى قبل بداية الزمن فى الأزل ، كان المسيح من طبيعة أو جوهر مشابه لجوهر الآب ، أصبحت عقيدة يوسابيوس القيصرى هى الأساس الذى تم عليه صياغة قانون الإيمان الذى خرج عن مجمع نيقيه (١) ويجب أن نوجه نظر القارئ الكريم إلى ما قرره هذا المؤرخ المسيحى من أن إثناسيوس قد تربى وتعلم فى مدرسة الإسكندرية ، والتى كان لها الأثر الأكبر فى اتجاهه نحو الدفاع عن عقيدة ألوهية المسيح ، كما أنه قد بنى تلك العقيدة على أساس أن مخلص البشرية لابد وأن يكون إلهاً ، ثم إن فى تقرير ذلك المؤرخ بأن إثناسيوس قد نُفى (بسبب عقيدته خمس مرات) ما يدل على أن قوله بالوهية المسيح كان مستغرباً ، ولم يكن له واقع بين جمهور النصارى ، وفى الحقيقة لا أستطيع أن أفهم موقف " يوسابيوس " الذى حاول التوفيق بين عقيدة أريوس وعقيدة " إثناسيوس " إذ كيف يوفق بين كون المسيح إلهاً ، وكونه بشراً ؟ لكن يبدو أن " يوسابيوس " كان مدفوعاً بدوافع سياسية ، فكان همه الأكبر التوفيق بين الآراء فى الظاهر ، وإن تناقضت فى حقيقتها ومضمونها .

---

(١) المسيحية عبر العصور : ص ١٥٤- ١٥٥ .

وتذكر تواريخ الكنيسة أن قسطنطين الإمبراطور الرومانى قد حرص على حضور ذلك المجمع ، واستمع إلى اراء المختلفين ، وقد مال فى النهاية إلى رأى القائلين بالوهية المسيح (١) وأمر بإقرار هذه العقيدة والتوقيع عليها ، وفى هذا يقول " ميخائيل مينا " ثم أمر الملك بحرمان اريوس وفرزه من المؤمنين فحرم سنة (٣٢٥م) ، وكان الذين وقعوا الحرمان ثلاثمائة وثمانيه عشر أسقفا (٢) ، وينبغي أن نشير ههنا إلى نقطتين في غاية الأهمية ، كان لهما التأثير الأكبر فيما انتهى إليه مجمع نيقية وهما :-

الأولى : الكراهية الشديدة التى كان يشعر بها قسطنطين تجاه آريوس : -

كان من المفروض أن يقف قسطنطين (من المحتجين فى نيقية) موقف المحايد لا موقف المرجح لرأى على رأى ، حيث إنه فى ذاك الوقت لم يكن قد دان بالنصرانية ، فهو صاحب عقيدة وثنية ، لكننا نرى قسطنطين يقف موقف المعارض للآريوسية ، وعن هذا يقول تاريخ الكنيسة " مع أن قسطنطين الذى لم تكن المسألة اللاهوتية واضحة امامه مطلقا ، إلا انه لم يكن يهتم باريوس مطلقاً ، وكان يكتب هكذا إذا اكتشفت رسالة كاتبها آريوس فليكن مصيرها النار ، حتى لا يترك أى ذكرى له مهما كانت ، وإذا قبض على أى شخص يُخفى كتاباً لأريوس ولا يظهره ، ويحرقه على الفور فعقابه الموت ، وتنفذ فيه العقوبة فور ثبوت الجريمة (٣) ولا شك أن هذه الكراهية الشديدة من الإمبراطور قسطنطين لآريوس وأتباعه ليست وليدة مجمع نيقية ، وليست غيرة

(١) راجع تاريخ الكنيسة القبطية : منس يوحنا –ص ١٩٢-١٩٣ ،وتاريخ الكنيسة جـ٢- ص ٤٦ .

(٢) علم اللاهوت / ميخائيل مينا : جـ١ – ص ٣١٥ – ط المحبة سنة ١٩٩٤ .

(٣) تاريخ الكنيسة : جـ٢ – ص ٥٠ .

منه على اللاهوت (المزعوم للمسيح – عليه السلام) ولكنها كانت لأن مذهب أريوس الداعي إلى وحدانية الله – يتناقض كل التناقض مع العقائد الوثنية للدولة الرومانية ، وأما القول بالـ بية المسيح والتثليث فهو أقرب ما يكون إلى تلك العقائد إن لم يكن استنساخاً لها .

الحقيقة الثانية : استغلال الإمبراطور لنفوذه لتدعيم القول بألوهية المسيح .

ولم يقتصر عداء الإمبراطور لأريوس على حد الكراهية والحرمان والطرد ، وإحراق كتبه ، وإنما يصرح بعض المؤرخين المسيحيين بأن كثيراً ممن وقعوا على قرار ألوهية المسيح ، وحرمان أريوس لم يفقهوا على أى شئ يوقعون .

يقول جون لوريمر " مع أن نيقية أسفرت عن صورة للوحدة ، إلا أنه كان هناك الكثير من سوء الفهم والمرارة والكثيرون لم يدركوا بالحقيقة الموضوعات اللاهوتية ، وحسب وصف سقراط المؤرخ قال :– إن ما حدث يشبه معركة فى الظلام ، لا أحد يعرف إذا كان أصاب صديقا أم عدواً ، ولم تشعر المجموعة الرئيسية الكبرى بزعامة " يوسابيوس " بالارتياح واشتهروا أخيراً بأنهم شبه اريوسيين .

وهذه الشهادة فى غاية الاهمية والخطورة حيث إنها تدل على أن كثيراً من الحاضرين لم يفهموا على ماذا يوقعون ، إذ غلبت الرهبة من سطوة الإمبراطور والخوف من تنكيله .

ومن ناحية أخرى فقد صرحت بأن أتباع يوسابيوس ، وكانوا أكثر من مائتين (١) قد جنحوا أخيراً إلى رأى اريوس".

---

(١) تاريخ الكنيسة : جـ ٢ – ص ٤٧ .

قانون الإيمان النيقاوى : -

انتهى مجمع نيقية إلى تقرير العقيدة التالية ، والمعروفة (بقانون الإيمان النيقاوى) وصيغتها : " نؤمن بإله واحد ضابط الكل خالق السماء والأرض ما يرى وما لا يرى ، ونؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الاب قبل كل الدهور نور من نور ، إله حق من إله حق مولود غير مخلوق مساو للآب فى الجوهر الذى به كان كل شئ الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء تأنس وصلب على عهد بيلاطس النبطى ، وتألم وقبر وقام من الأموات فى اليوم الثالث كما فى الكتب ، وصعد إلى السموات وجلس عن يمين أبيه ويأتى فى مجده ليدين الأحياء والأموات الذى ليس لملكه انقضاء " (١) وهكذا أقر- الذين غلبوا على الأمر- ألوهية المسيح وأنه ابن الله قد نزل من السماء مخلصاً للبشر من خطاياهم عن طريق قتله ، وصلبه ، ويزعمون أنه قد صلب فعلاً وأنه دفن فى قبره ، ثم قام بعد دفنه بثلاثة أيام ، ثم صعد إلى السماء – على حد زعمهم – وكان من الإجراءات التى اتخذها ذلك المجمع بعد حرمان أريوس وأتباعه ، وإحراق كتبه ونفيه بعد كل هذا أرسل المجمع رسالة إلى جميع الكنائس فى أنحاء الإمبراطورية الرومانية هذا نصها .

" قبل كل شئ وقع البحث أمام الملك قسطنطين الكلى النيقوى فى أثم أريوس ورفقائه ، وعدم تقواهم ، وحكم بصوت الجميع أن تعليمه العديم التقوى ، وهكذا فلتكن أقواله وعباراته التجديفية التى استعملها ، لأنه قال مجدفاً أن ابن الله من القدم وأنه وجد زمان لم يوجد فيه ، وقال أن ابن الله من تلقاء إرادته قادر على الفضيلة والرذيلة ، وقال إنه مخلوق ، فكل هذا حرمه ، والمجمع المقدس لا يطيق استماع

(١) علم اللاهوت : جـ١ – ص ٣٦٥ .

هذا التعليم الحديم التقوى ، أو بالحرى هذه السفاهة ، وهذه الأقوال التجديفية (١)

ونستطيع من خلال هذه الرسالة أن نستنبط حقيقتين :

الأولى : أنها تمثل تهديداً ووعيداً شديدين لكل من يعتقد عقيدة آريوس ، أو يأوى آريوسياً واستفتاح هذه الرسالة باسم قسطنطين فيه ما فيه من الإرهاب والتخويف .

الثانية : أن إرسال هذه الرسالة إلى عموم كنائس الإمبراطورية يدل على انتشار أتباع آريوس فى عموم الإمبراطورية ، وإلا لو كان الأمر مجرد هرطقة شخصية ما احتاج المجمع إلى مثل هذه الرسالة .

مصادر الفكر اللاهوتى لدى القائلين بألوهية المسيح والتثليث :

انتهى مجمع نيقية بتقرير ألوهية المسيح ، وأنه أقنوم من أقانيم ثلاثة هى الآب والإبن والروح القدس ، وأن هذه الأقانيم الثلاثة إله واحد(٢) وقد رأينا من خلال العرض السابق لأحداث مجمع نيقية ، كيف أن رئيس كنيسة الإسكندرية كان هو المدافع الأول عن تلك العقائد ، والمقاوم الألد لعقيدة التوحيد ، وكيف أن قسطنطين قد شجع هذا الاتجاه، وتبنى الدفاع عنه ، وإذا كان موقف قسطنطين مفهوماً إلى حد كبير ، فقد اختار الرجل ما يتسم مع عقائده الوثنية ، وديانته القائمة على عبادة الأباطرة ، فإن الموقف المحير والغريب هو موقف رجال الدين بالإسكندرية بالذات ، إذ كيف يقاومون عقيدة التوحيد الصافية النقية

---

(١) تاريخ الكنيسة القبطية : ص ١٩٧ .

(٢) يراجع فى هذا : الله فى ذاته ونوع وحدانيته :عوض سمعان – ط المكتبة الإنجيلية ، وطبيعة المسيح / شنودة الثالث –ط الثقافة .

الواضحة ، ويتبنون العقائد المعقدة التى تتناقض مع العقل السليم والعلم الصحيح؟

ومن اين جاءوا بهذه العقائد العجيبة ؟

يجيب عن هذا الدكتور / " على عبد الواحد وافى " بقوله " يظهر أن هذه العقيدة المسيحية الطارئة قد نشأت عن تأثر بالفلسفة الأفلوطينية الحديثة ، وذلك أن أفلوطين زعيم مدرسة الإسكندرية ، وهى المدرسة التى تنسب إليها الفلسفة الأفلاطونية الحديثة ، وهو من رجال القرن الثالث الميلادى ، كان يرى فيما يتعلق بالكون ومنشئه أن الله هو مُنشئ الأشياء لا يتصف بوصف من أوصاف الحوادث فليس بجوهر ، ولا عرض ، وليس فكره كفكرنا ، ولإرادته كإرادتنا يتصف بكل كمال يليق به ، ويفيض على كل الأشياء نعمة الوجود ، ولا يحتاج هو إلى موجد، وان أول شئ صدر عن هذا المُنشئ هو العقل ، وقد صدر عنه كأنه يتولد منه ولهذا العقل قوة الإنتاج ، ولكن ليس كمن يولد عنه ، ومن العقل تنبثق الروح التى هى وحدة الأرواح ، وعن هذا الثالوث يصدر كل شئ ، ومنه يتولد كل شئ ، فوجه الشبه واضح كل الوضوح بين هذاالمذهب من جهة ، وعقيدة التثليث التى استقرت عليها المسيحية من جهة اخرى ، وإذا لاحظنا ان هذا المذهب كان منتشراً ومعروفاً قبل مجمع نيقية بامد طويل ، وأنه كان المذهب الفلسفى لمدرسة الإسكندرية وأن بطريك الإسكندرية الذى نشأ فى البيئة التى ساد فيها هذا المذهب كان من أكبر المدافعين عن عقيدة التثليث فى مجمع نيقية ، إذا لاحظنا هذا كله نرجح الإحتمال الذى ذكرناه وانه يظهر أن العقيدة المسيحية الطارئة قد نشأت عن تأثر بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة ، ومن الممكن كذلك أن تكون قد تأثرت بالديانة البرهمية فقد استقرت أوضاعها فى آخر الأمر على الاعتقاد بتثليث الآلهة ، وإن كان ثالوثها يختلف عن ثالوث المسيحيين فى نشأة كل اقنوم من أقانيمه ، وعمله ، ووصفه وذلك أنها تقرر أن الإله " براهما " كان قبل الوجود ، وأنه خلق العالم وسمى نفسه الخالق . ثم انبثق منه الإله " سيفا " وهو الإله المدمر الموكل بالخراب

والفناء ، ولو ترك هذا الإله وشأنه لفنيت السموات والأرض ومن فيهن ، ولهذا انبثق من " براهما " إله ثالث حافظ مجدد ، وهو الإله " فشنو " ويظهر أن فكرة الخلاص بتقديم الإله نفسه فداءً لتكفير خطيئة أزلية متلبسة بها الإنسانية ، قد انتقلت إلى المسيحية من الديانات الهندية ، كذلك فالبرهميون يعتقدون أن " كريشنا " وهو الإله فشنو قد خلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه ويصورون فيشنو مصلوباً مثقوب اليدين والرجلين على قميصه صورة قلب الإنسان معلقاً ، ويعتقد البوذيون مثل ذلك فى " بوذا " حتى أنهم ليسمونه المسيح والمولود الوحيد مخلص العالم ، ويقولون أنه إله كامل تجسد بالناسوت ، وأنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب البشر (١) .

كانت تلك هى أهم العقائد والأفكار التى سادت الأجواء الفكرية ، وصنعت الفكر العقدى فى أنحاء الإمبراطورية الرومانية أو فى البلاد المجاورة لها ، وكلها تشترك فى تلك العقائد التى تقوم على عبادة ثلاثة آلهة انبثق الثانى والثالث منهم عن الأول ، وأن أحد هذه الآلهة قد ضحى بنفسه فداءً عن البشرية ، ولقد تسلل هذا الفكر الوثنى إلى مدرسة الإسكندرية الفلسفية ونشط وازدهر علي يد أفلوطين زعيم مدرسة الإسكندرية ، والذى جاء بنظريته الشهيرة والمعروفة بنظرية الصدور أو الانبثاق ، والتى تبناها من بعده اسكندر بابا الإسكندرية ورئيس كنيستها، ومن بعده تلميذه إثناسيوس ، وذلك بعد صبغ هذه النظرية بصبغة المسيحية الوثنية ، فلماذا لا يكون ذلك الكائن المنبثق عن الإله الأول هو المسيح ؟ وما المانع من إرضاء المثلثين ؟ وهذا يتحقق بسهولة بأن يضاف الروح القدس إلى الأب والإبن (٢) وبهذا يتم إرضاء جميع الأطراف الوثنية ،

---

(١) الأسفار المقدسة د / على عبد الواحد وافى – ص ١٢٩-١٣٠ – ط نهضة مصر

(٢) لمزيد من التعرف على تأثر المسيحية بالديانات الوثنية يراجع العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية / محمد بن طاهر البيروتى – تحقيق د / محمد عبد الله الشرقاوى – ط دار الصحوة ، ومحاضرات فى مقارنة الأديان / إبراهيم خليل أحمد / من ص ١٩-٢٢ – ط دار المنار ، ومحمد فى التوراة والإنجيل والقرآن لنفس المؤلف – =

والمتعلقة باسم المسيح ، وبهذا أيضاً يتمكن رجال الإسكندرية من الجمع بين الوثنية والمسيحية ، ويتمكن قسطنطين من الاحتفاظ بالوحدة العقدية للإمبراطورية الرومانية ، وهذا ما يعنى إليه حماية المملكة

يقول " ول ديورانت " " ترى هل كان قسطنطين حين تحول إلى المسيحية مخلصاً فى عمله هذا ؟ وهل اقدم عليه عن عقيدة دينية ؟ أم كان هذا العمل حركة بارعة أملتها عليه حكمته السياسية ؟ أكبر الظن أن الرأى الأخير هو الصواب ، لقد أحاط قسطنطين نفسه فى بلاطه ببلاد غالة العلماء والفلاسفة الوثنيين ، وقلما كان بعد تحوله إلى الدين الجديد يخضع لما تتطلبه العبادة المسيحية من شعائر وطقوس ، ولم يكن يتردد فى القضاء على الانشقاق محافظة على وحدة الإمبراطورية ، وكان يعامل الأساقفة على أنهم أعوانه السياسيون ، يستدعيهم إليه ويرأس مجالسهم ويتعهد بتنفيذ ما تقره أغلبيتهم ولو أنه كان مسيحياً أولا ، وحاكماً سياسياً بعدئذ ، ولكن الآية انعكست ، فكانت المسيحية وسيلة لا غاية (١) .

وقد نبه القرآن الكريم إلى اقتباس اليهود والنصارى من أصحاب الديانات الوثنية القديمة فى قوله تعالى :

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) (٢)

= ص ٩٥-٩٧ – ط النار ، والمسيحية نشأتها وتطورها لشارل جينيير – ترجمة د / عبد الحليم محمود من ص ٤٠-٥٠ – ط دار المعارف ، وك ديانات مصر القديمة،أودلف أرمان – ترجمة د / عبد المنعم أبو بكر – ط الباب الحلبى .

(١) قصة الحضارة : جـ٢ – ص ٣٧٨ – ط لجنة التأليف والنشر بجامعة الدول العربية .

(٢) سورة التوبة : آية رقم : ٣٠ .

ومن الجدير بالذكر أن هذا الاقتباس من الديانات الوثنية قد ظهر في النصارى منذ فترة مبكرة ، وقبل مجمع نيقيه بقرن أو قرنين ويوضح هذا المعنى الأستاذ / محمد رشيد رضا فيقول " والجدال عن الاقانيم في اللاهوت إبتدأ في العصر الرسولي (١) ولقد كان لبولس الذى كان يهودياً من أعدى أعداء النصرانية ، ثم تظاهر باعتناق المسيحية – الدور الأكبر في اقتباس جل الأفكار الوثنية وإلصاقها بديانة عيسى – عليه السلام – حتى إنه ليُعد – وبحق – مؤسس المسيحية القائمة على ألوهية المسيح المصلوب لخلاص البشرية من الخطيئة ، وقد نشط بولس في نشر هذه الأفكار ، ودعا إليها بشخصه ورسائله ، ولبولس وحده سته عشر رسالة في كتاب العهد الجديد ، ويعتقد النصارى أنها ضمن الكتاب المقدس ، وأن بولس هو رسول المسيحية الأعظم (٢)

مصير الاريوسية بعد نيقية :

نتساءل الآن عن مصير الموحدين بعد مجمع نيقية ، وهل انتهى الخلاف بانتهاء مجمع نيقية ، وهل استطاع سيف الإمبراطور المسلط أن يقضى على حماسة الموحدين من اتباع اريوس ؟

يجيب عن هذا صاحب تاريخ الكنيسة فيقول " مع أن مجمع نيقية يعتبر أحد المعالم الخطيرة في تاريخ الكنيسة إلا ان قراراته لم تحسم الخلافات حسماً نهائياً . وكما رأينا فحتى الذين وقعوا على القرارات واللوائح كانوا ذوى إتجاهين فكريين ، وواضح جداً أن يوسابيوس أسقف نيقوميدية ، ولو أنه وقع على القانون لكنه كان في الواقع مقتنعاً بالرأى الاريوسى وكذلك لم يكن يوسابيوس أسقف قيصرية ، وهو شبه آريوسى

---

(١) تفسير المنار جـ١ ص ٢٨٩ – ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٢) وللمزيد من التعرف على شاول اليهودى " بولس " وأثره في النصرانية يراجع من الفصول الرابع حتى السادس من كتاب المسيحية نشأتها وتطورها – لشارل جينيبر .

لم يكن مستريحاً للرأى الأرثوذكسى ، وعلى النقيض الآخر كان يوسابيوس أسقف نيقوميدية هو الذى نجح أكثر من أى شخص آخر فى إقناع الإمبراطور بإعادة النظر فى الفكر الأريوسى مرة ثانية (١)

ومن هذا يتبين أن هناك كثيراً ممن وقعوا على قرارات مجمع نيقية لم يكونوا مقتنعين بها ، وأن أتباع أريوس لم يقلّوا بعد قرار حرمانه ، وإنما كثروا إلى ذلك الحد الذى سمح لبعضهم أن يطالب الإمبراطور بإعادة النظر فى قرار مجمع نيقية .

مجمع صور سنة ٣٣٤م ولماذا يتجاهله النصارى:

نتيجة لكثرة عدد الأريوسيين وقوة عقيدتهم استجاب الإمبراطور لمن نصحوه بإعادة النظر فى آراء آريوس ، فعقد مجمعاً فى مدينة (صور) حضره كل من أتباع " إثناسيوس" القائلين بألوهية المسيح ، والتثليث ، والأريوسيين " ومع أن إثناسيوس حضر ومعه ثمانية وأربعون من أساقفة مصر ، لكن الأريوسيين سيطروا على الجلسات التى رأسها " يوسابيوس " أسقف نيقوميديا ويوسابيوس أسقف قيصرية (٢) .

وهكذا تم عقد مجمع صور سنة ٣٣٤ م لإلغاء قرارات " مجمع نيقية " السالف ، وقرروا العفو عن أريوس وأتباعه ، وبذلك دارت الدوائر على إثناسيوس الذى عزل فى العام التالى ، ونفى إلى تريف بفرنسا ، حيث ظل حتى أطلق سراحه الإمبراطور جوليان ٣٦١-٣٦٣م الذى كان بحكم وثنيته لا يهتم بأمر الأريوسيين أو الإثنا سيوسيين على نحو ما ذكره المؤرخ " لوت" وهذا المجمع لا يذكره المسيحيون بالتصريح ، وإن كانت كتاباتهم لا

---

(١) تاريخ الكنيسة : جـ٢ – ص ٥٧.

(٢) المرجع السابق – ص ٥٩ .

تستطيع إغفاله (١) ومعلوم لماذا يتجاهل كثير من المؤرخين المسيحيين هذا المجمع ولا يعرضون له إلا بالإشارة ، لأنه وبكل صراحة قد الغى ما قرره مجمع نيقية من الوهية المسيح ، والتثليث و- رمان آريوس ، وهذا كله يتناقض مع عقائد النصارى ، وافكارهم ، وبالتالى فهم يتجاهلون ذكر هذا المجمع ، ومع هذا يقر بعضهم بأن عقيدة آريوس كانت هى عقيدة السواد الأعظم لجماهير المسيحيين ، وفى هذا يقول (ابن البطريق) " فى ذلك العصر غلبت مقالة اريوس على القسطنطينية وانطاكية ، وبابل والإسكندرية ، وأسيوط قد علمت أن كنيستها كانت موحدة .

ويقول فى بيان حال الإسكندرية ومصر بعد الإجمال السابق " فأما أهل مصر والإسكندرية فكان أكثرهم أريوسيين ، فغلبوا على كنائس مصر والإسكندرية وأخذوها ، ووثبوا على إثناسيوس بطريرك الإسكندرية ليقتلوه فهرب منهم واختفى (٢) ولم يكن هذا حال المسيحيين فى مصر وحدها ، وإنما كان هذا حالهم فى معظم ربوع الإمبراطورية الرومانية .

" فقد كان على كثير من الكنائس رؤساء موحدون يستمسكون بالتوحيد ، ويحثون على الاستمساك به ، وكلما ولِّ أسقف غير موحد ثاروا به ، وهموا بقتله ، وهذا " ابن البطريق " يقص علينا أن بطريرك بيت المقدس لم يكن موحداً فيثور عليه الموحدون ، ويهمون بقتله فيهرب منهم ، فيقول فى ذلك " وثب أهل بيت المقدس من كان منهم اريوسيا على كورلس أسقف بيت المقدس ليقتلوه فهرب منهم ، فصيروا

---

(١) يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء د / رؤوف شلبى – جـ١ – ص ٢٢٤ – ط مكتبة الأزهر .

(٢) نقلاً عن محاضرات فى النصرانية / للشيخ أبى زهرة – ص ١٦٠ .

" أراقليوس " أسقفاً على بيت المقدس وكان أريوسياً (١) وهذا كله يؤكد على أن عقيدة التوحيد كانت هي المهيمنة رغم سطوة الرومان ، وقسوة الأباطرة ، وإذا كانت عقيدة التوحيد الأريوسية كان لها كل هذا النفوذ ، فكيف انقلب حكام الرومان على أعقابهم ، وكيف إنزوت أنوار الأريوسية خلف ظلمات التثليث ؟

يجيب عن هذا حبيب سعيد بقوله " انتصرت الاريوسية مدى حين في الشرق بفضل تعضيد الاباطرة الذين ارتدوا عن الإيمان القويم ، ولكنها لم تستطع البقاء طويلاً ، وذلك لأنها انقسمت على نفسها شيعاً وأحزاباً ، وجاء الإمبراطور " تيودوسيوس " وكان من أنصار إثناسيوس- واستدعى مجمعاً مسكونياً ثانياً في القسطنطينية (٣٨١م) فأقر مرة أخرى قانون الإيمان النيقوى أساساً لعقائد الكنيسة الجامعة ، وانطفأت شعلة الأريوسية (٢) .

وإذا كنا نتفق مع حبيب سعيد في أن سطوة الإمبراطور الوثني ، وسلطة مجمع القسطنطينية ، كانت هي السبب في القضاء على النصارى الموحدين ، فإننا نختلف معه كل الاختلاف في إدعائه أن الاريوسية انقسمت على نفسها أحزاباً أو أنها انتهت من تلقاء نفسها بعيداً عن أي ضغط سياسي ، بل الحق أن قوة الرومان الغاشمة ووثنيتهم المستحكمة التي كانت ترى في عقيدة التوحيد الخطر الأكبر الذي يتهدد الإمبراطورية البيزنطية التي اختلطت فيها السياسة بالدين ، إلى انطفاء مصباح التوحيد ، وامتداد ظلمات الوثنية .

وبهذا تنتهي تلك المرحلة من مراحل الصراع العقدي الذي كان أكثر خطورة ، وأعظم أثراً في تاريخ النصرانية ، فحولها من ديانة

---

(١) المرجع السابق : ص ١٦١ .
(٢) تاريخ المسيحية : ص ١٥٢ .

توحيدية إلى ديانة حاول اصحابها الجمع بين الظلمات والنور ، والثرى والثرية ، والحق والباطل ، وارضاء قيصر والله فوجدوا أنفسهم فى النهاية مؤلهين للمسيح ساقطين فى ظلمات التثليث أسارى للتقاليد ، غارقين فى تلك الحيرة بين نداء الفطرة وقوانين العقل ، وبين التسليم الأعمى ، والانقياد الأهوج لقرارات الجامع وعقيدة الآباء ، وصدق الله تعالى إذ يقول " وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ " (١)

(١) سورة البقرة : آية رقم : ١٧٠ .

" المبحث الثانى "

الصراع العقدى بين القائلين بالتثليث وموقف الإسلام منه:

تمهيد : -

تناولنا فى المبحث السابق جولة من أهم جولات الصراع العقدى بين النصارى ، وهى الصراع بين التوحيد والتثليث ، وعرفنا كيف أن عقيدة التوحيد كانت هى المهيمنة على قلوب كثير من النصارى فى معظم أرجاء الإمبراطورية الرومانية ، ونظراً لعوامل سلف ذكرها ، ناصر أباطرة الرومان القائلين بألوهية المسيح والتثليث ، وعملت بكل ما أوتيت من قوة للقضاء على الموحدين ، وبانتهاء ذلك الصراع بين التوحيد والتثليث ، لم ينته الصراع بين النصارى ، فسرعان ما نشبت نيران صراع جديد بين القائلين بألوهية المسيح أنفسهم ، فقد برزت بعد ذلك عقائد وأفكار زادت من هوة الخلاف ، ووسعت دائرة الصراع بين القائلين بألوهية المسيح – عليه السلام وقد بقى فى توسعه وضراوته حتى نهاية القرن التاسع الميلادى ، بل ولا يزال بعضه مستمراً حتى اليوم ، وقد تركزت أهم الصراعات العقدية حول العقائد التالية : -

صراع حول ألوهية الروح القدس وانبثاقه .

ب – صراع حول المسيح بين الطبيعة والطبيعتين .

حـ - صراع حول المشيئة والمشيئتين .

وسنعرض الآن للصراع النصرانى حول هذه العقائد مفردين لكل صراع منها مطلباً على النحو التالى .

المطلب الأول : - الصراع العقدى حول ألوهية الروح القدس وانبثاقه .

المطلب الثاني : - الصراع العقدى حول طبيعة المسيح .

المطلب الثالث : - الصراع العقدى حول مشيئة المسيح .

المطلب الأول

الصراع العقدى حول الروح القدس وانبثاقه:

ذكرنا فى المبحث السابق كيف انتهى المجمع المسكونى الأول إلى تقرير عقيدة التثليث ، وادعاء أن الله – عز وجل – واحد ذو ثلاثة أقانيم هى . أقنوم الآب ، وأقنوم الابن ، وأقنوم الروح القدس ، وإذا كان الأقنوم الأول وهو الآب – فى زعم النصارى – هو الله الخالق والأقنوم الثانى هو يسوع المسيح بن الله – فى زعمهم – فمن ذاك الإله الثالث المسمى بروح القدس ، وماذا ثار حوله من صراعات عقدية ؟ نجيب عن هذه الأسئلة فى هذا المطلب على النحو التالى .

أولاً : الروح القدس فى عقيدة النصارى :

يعطى النصارى المثلثون أهمية كبيرة لموضوع الحديث عن الروح القدس ، باعتباره الأقنوم الثالث من أقانيم إلههم الذى يعبدونه ، وفى هذا يقول (شنودة الثالث) " موضوع الروح القدس موضوع هام جداً فى الكنيسة ، فعليه يتوقف كل عملها ، وهو العامل فى كل أسرارها (١) والكنيسة تحتفل كل عام بعيد حلول الروح القدس على الرسل القديسين، ويسمى عيد الخمسين ، أو عيد " البندكتى" ويعتبر بداية لتاريخ الكنيسة المسيحية وبدء كرازتها وانتشارها (٢) ثم يقول عن

---

(١) يقصد بأسرار الكنيسة : مجموعة من العقائد والطقوس يطلق عليها النصارى كلمة (أسرار) وهى سبعة أسرار عندهم وهى

١ - سر المعمودية ٢- الميرون أو المسحة المقدسة ٣ - العشاء الربانى أو الإفخارستيا ٤ - سر التوبة أو الإعتراف ٥ - سر مسحة المرضى ٦ - سر الذبيحة ٧ - سر الكهنوت

وللمزيد من التفصيل حول هذه الأسرار يراجع ك : أسرار الكنيسة السبعة /حبيب جرجس – ط ٦ مكتبة المحبة .

(٢) الروح القدس وعمله فينا / شنودة الثالث – ص ٥ – ط ٣ للأنبا رويس

لاهوته " إنه واحد مع الآب والإبن ، وفى ذلك يقول السيد الرب للقديسين " تلمذوا جميع الأمم ، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس " (١) وعن الروح القدس ايضا يقول " مرقس داود " " الروح القدس هو روح الله (الأقنوم الثالث) فى الثالوث ، وقد سمّى روحاً لأنه منبع الحياة ، ودُعِىَ قدوساً لأن من ضمن عمله تقديس قلب المؤمن(٢)

ويعتقد النصارى أن الروح القدس قد اتحد بالمسيح ، وحل به وهو فى رحم مريم " العذراء " ثم حل به مرة اخرى عندما نزل من السماء على هيئة حمامة ، بعد أن تعمد المسيح على يد " يوحنا المعمدان " فى نهر الأردن ، حيث جاء فى إنجيل (متى) " حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه ،ولكن يوحنا منعه قائلاً : أنا محتاج أن أعتمد منك ،وأنت تأتى إلى فأجاب يسوع وقال إسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر ، حينئذ سمح له ، فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء ، وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة ، وآتيا عليه وصوت من السماء قائلاً هذا هو ابنى الحبيب الذى به سُررت " (٣)

وهكذا يعتقد النصارى المثلثون أن الروح القدس هو روح الله على الحقيقة وهو الشريك الثالث للأقنومين الآب والابن ، وحول الروح القدس دب صراع عنيف بين النصارى حول قضيتين :

القضية الأولى : هل الروح القدس إله أم مخلوق من مخلوقات الله ؟ وقد أثيرت تلك القضية فى القرن الرابع الميلادى .

القضية الثانية : إذا كان الروح القدس إلها فهل انبثق من الآب وحده ؟ أم من الآب والإبن معاً ؟

وفيما يلى نعرض لهاتين القضيتين بشئ من التفصيل .

---

(١) المرجع السابق – ص ٩ .

(٢) قاموس الكتاب المقدس / لجماعة من اللاهوت ص ٤١٤ – ط دار الثقافة .

(٣) إنجيل متى – ص ٣ – ف (٣، ٤) .

أولاً : الصراع حول ألوهية الروح القدس :

تسجل تواريخ الكنائس المسيحية أن هناك صراعاً قد احتدم فى اواخر القرن الرابع الميلادى بسبب الروح القدس ، حيث ظهر رجل يسمى " مكدنيوس " ينادي بان الروح القدس ليس إلهاً وإنما هو مخلوق لله يحمل رسالة الله إلى رسله ، وأنبيائه ، وليس هو الأقنوم الثالث كما ادعى المجمع النيقاوى ، الأمر الذى اظطر النصارى المثلثين إلى الدعوة إلى عقد مجمع مسكونى لمناقشة " مكدنيوس " والدفاع عن عقيدة التثليث ، فكان مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ م ، وفى هذا يقول منسى حنا " مجمع القسطنطينية ويسمى (المجمع المسكونى الثانى) وسبب انعقاده التعاليم الكفرية التى أذاعها " مكدنيوس " بطريرك القسطنطينية عن الروح القدس ، والتى اضطربت البيعة لاجلها ، وإذ كان الملك " تيودوسيوس " الأرثوذكسى يرغب في استئصال شأفة البدع والهرطقات أمر بانعقاد هذا المجمع فى مدينة القسطنطينية (١) ثم يقول فى بيان رأى (مكدنيوس) " وكان مكدنيوس يرى بأن الروح القدس مخلوق ، ولما طرحت قضيته أمام المجمع بدأ يثبت بدعته ، فقال إن الروح القدس مخلوق مر تكناً على قول الكتاب " كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان " (٢)

فأجابوه قائلين " أيها الإنسان لا يوجد لدينا إلا روح واحد وهو روح الله . ومن المعلوم ان روح الله ليس شيئاً غير حياته ،وإذا قلنا أن حياته مخلوقة فعلى زعمك أنه غير حي ، فهناك الكفر القطيع ، والرأى الشنيع " ولما أبى أن يرجع عن أفكاره أنزلوه من درجة البطريركية وحرموا كل من يقول بقوله ، وأثبتوا دستور الإيمان النيقاوى الذى كان ينتهى بقوله " نعم نؤمن بالروح القدس ، فأضاف مجمع القسطنطينية عليه هذا القول " الرب المحيى الكل المنبثق من الآب الذى هو مع الآب والابن يسجد له ويتمجد الناطق فى الأنبياء ، وبكنيسة واحدة مقدسة

---

(١) تاريخ الكنيسة القبطية ، ص ٢٠١ .
(٢) إنجيل يوحنا (١-٣) .

جامعة رسولية ، ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا ونترجى قيامة الأموات والحياة الجديدة فى العالم الآتى آمين " (١) وهكذا قام مكدنيوس بالدفاع عن عقيدته في الروح القدس مستدلاً على تلك العقيدة بما ورد فى إنجيل يوحنا من أن كل شئ سوى الله مخلوق ، ورأينا كيف أن الأساقفة الذين حرموا مكدنيوس ، وقالوا بألوهية الروح القدس ، قد بنوا عقيدتهم على أساس واه لا يسلم لهم ، فقد قالوا إن الروح القدس هو روح الله ، وروح الله هو حياة الله ، فلماذا لا يكون روح القدس هو ملك من الملائكة كما قال " مكدنيوس " ؟ ولا شك أن مكدنيوس كان موحداً لله تعالى أيضاً ينكر ألوهية المسيح ، لكن الجانب الذى ركز عليه وسجلته تواريخ الكنيسة عنه هو إبطال ألوهية الروح القدس ، ولعلها كانت خطوة أولى وتمهيدية لإعلان وحدانية الله ، وهذا ما يستنبط من كلام مكدنيوس ، وما لاحظه ميخائيل مينا حيث يقول " كان هذا التعس بطريركاً للقسطنطينية فى أواخر الجيل الرابع ولشدة ميله لمعتقد أريوس الكافر قام ضد أصحاب الرأى المستقيم الذين يعتقدون بمساواة الأقانيم الثلاثة مجاهراً على رؤوس الأشهاد فى الكنائس والمجتمعات ، بأن الروح القدس جل شأنه مخلوق كالملائكة ليكون إلهاً للابن أي خادما له (٢).

ومن الجدير بالذكر أن أسقف الإسكندرية كان فى هذا المجمع هو المدافع الأكبر عن ألوهية الروح القدس ، كما كان هو المدافع من قبل – عن ألوهية المسيح – عليه السلام – ، بل إن " ميخائيل مينا " يدعى أن رئاسة المجمع كانت لبطريرك الإسكندرية (٣) فى حين يذكر ابن البطريق أن رئاسة المجمع كانت لرئيس كنيسة القسطنطينية الأمر الذى أغضب المصريين (٤) وأيا كان رئيس المجمع فإن الأمر كما يقول الشيخ أبو زهرة " كان للإسكندرية فضل الصدارة فى القول والقيادة فى الرأى العام ، وإن

---

(١) تاريخ الكنيسة القبطية ص ٢٠٢ .

(٢) علم اللاهوت / للقمص / ميخائيل مينا – جـ٢ – ص ١١ .

(٣) المرجع السابق – جـ ٢ – ص ١٢ .

(٤) محاضرات فى النصرانية – ص ١٦٢-١٦٣ .

لم تكن لها الرياسة (¹) وأخيراً نوجه نظر القارئ الكريم إلى أن القول بأن الروح القدس مخلوق لم يكن قول مكدنيوس وحده ، وإنما قال به كثير من اللاهوتيين النصارى فى القرن الرابع ، وفى هذا يقول " جون لوريمر " ، " يوسابيوس متمسكاً بأن الروح القدس كان كائناً مخلوقاً أقل من الآب والابن ، وقد عرف إقرار هذه الجماعة باسم " تيوما توماخى " أى أعداء الروح ، كما كانوا يعرفون أيضاً باسم " المقدونيين " على اسم أحدقادتهم، ولم تسجل هذه القضية إلا فى مجمع القسطنطينية فى سنة ٣٨١م فقط (²) وبهذا تم للمثلثين ما أرادوا ، واكتمل ثالوثهم بعد أن أقرت الوهية الروح القدس ، ووظيفته ، وألحق ذلك بقانون الإيمان النيقاوى .

ثانيا : الصراع العقدى بين النصارى حول انبثاق الروح القدس

كما ثارت مشكلة بين النصارى فى القرن الرابع الميلادى حول الروح القدس ، وهل هو إله خالق أم عبدٌ مخلوق ؟ وبما أن القوم قد شيدوا بناءهم العقدي من غير أساس قويم يرتكز على نور من هدى الخالق – جل وعلا- وحيث إن التمادى فى الخطأ يؤدى إلى السقوط فى الخطيئة ، فقد ثارت فى منتصف القرن الثامن الميلادى مشكلة أخرى حول الروح القدس ، اهتزت لها الكنائس ، وتطاحنت من أجلها المجامع ، ووقف عامة النصارى وسط تضارب الآراء حيارى ، تلك هى مشكلة الانبثاق .

ماذا يعنى الانبثاق عند النصارى :

إذا كان مجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١م قد أقر ألوهية الروح القدس ، فإنه لم يتعرض لمسألة أثيرت فيما بعد وهى مسألة (انبثاق

---

(١) المرجع السابق – ص ١٩٣ .

(٢) تاريخ الكنيسة – جـ ٣ – ص ١٠٤ .

الروح القدس) ، وكلمة انبثاق كما يذكر ميخائيل مينا تعني الخروج أو الصدور(١)

إن محور هذه المشكلة إذن يدور حول خروج الروح القدس أو صدوره ، هل هو صادر من الآب فقط – على زعمهم – أم من الآب والابن معاً ؟ أثار هذا التساؤل في القرن الثامن الميلادي رجل يسمى " لوكيوس " وعلم في القسطنطينية أن الروح القدس منبثق من الآب والإبن معاً ، وليس من الآب وحده ، وعن هذا الرجل وعقيدته يقول منسى حنا " وفي نهاية الجيل الثامن ظهر لوكيوس المبتدع في عهد (لاون الثالث) أسقف رومية سنة ٨٠٨م ، وعلّم في فلسطين أولاً بأن الروح القدس منبثق من الآب والإبن ، فشجبه الأساقفة ،وطردوه من بلادهم، فلجأ إلى رومية ، فلم يتفق له النجاح فتوجه إلى فرنسا ، وفيها تمكن من أن ينفث سمومه بين الإكليروس بمساعدة كارلوس الأكبر ومن ثم رجع إلى رومية ببعض أتباعه ، فقاومهم لاون الثالث الذي جلس على الكرسي الروماني سنة ٧٩٥م ، ولما رأى هذه البدعة في رومية ، ولم يكن في كنيسته رجال متضلعون في العلوم اللاهوتية ليدفعوها ، طلب من توما بطريرك أورشليم أن يرسل إليه رجالاً حكماء أتقياء ينقذون كنيسة رومية ، ولم يدعهم يصلون إلى رومية وعقد مجمعاً سنة ٨٠٩ م ، قرر فيه الزيادة ، وحاول إقناع أسقف رومية بها ، فلم يفلح (٢)

ومن هنا يتبين مدى تعصب لوكيوس لرأيه ودفاعه عنه حتى تمكن من نشره بين رجال الكنيسة في فرنسا ، وحتى عجز بابا روما نفسه عن مواجهته ، وبعث يطلب من أسقف أورشليم من يردّ على لوكيوس ، ويدافع عن روما ، ومنذ ذلك العهد أدت مشكلة الانبثاق إلى خلاف كبير حتى بين بابا وات روما أنفسهم ، فكان بعضهم يقبل عقيدة

(١) علم اللاهوت – جـ ٢ – ص ٤٢ هامش ١ .

(٢) تاريخ الكنيسة القبطية ص ٣٢٩ .

الانبثاق من الآب والإبن ، وبعضهم يرفضها وكل يلعن أخاه ، بل لقد وصل الامر إلى حد التمثيل بجثث المخالفين فى الرأى بعد وفاتهم ، وفى هذا يقول منسى حنا " ولكن فرسو ذوزس سنة ٨٩١ م قبل الزيادة (أي قولهم المنبثق عن الآب والإبن) فشجبه خلفه استفسانوس السادس سنة ٨٩٧م وأخرج جثته وحاكمها وقطع أصابع يده التى كان يقدس بها القرابين ، ويبارك الشعب وألقى تلك الجثة فى نهر تيبر فعثر بها صياد ودفنها إلا أن سرحيوس الذى جلس على كرسي رومية سنة ٩٠٥ م أخرجها ، وبعد أن فصل الهامة عنها طرحها فى النهر ثانية ، وإلى هذا الحد من الوحشية وصل الصراع بين باباوات روما أنفسهم (١)

مجمع القسطنطينية الرابع سنة ٨٦٩ م :

" ويسمى هذا المجمع بالمجمع اللاتينى الغربى ، وسبب انعقاده البحث فى مسألة انبثاق الروح القدس ، والتى أثارها بطريرك القسطنطينية ، وقد اجتهد الأساقفة المجتمعون فى إبعاد بطريرك القسطنطينية ، وأقروا النتائج التالية .

الروح القدس منبثق من الآب والإبن معاً .

كل من يريد أمراً يتعلق بالمسيحية وعقائدها يجب أن يرفع دعواه إلى كنيسة روما .

جميع المسيحيين خاضعون لكل المراسم التى يقوم بها رئيس كنيسة روما .

(١) المرجع السابق – ص ٣٥١ .

لعن بطريرك القسطنطينية وحرمانه هو وأتباعه القائلون بانبثاق روح القدس من الآب وحده (١)

وهكذا أصر أساقفة روما على عقيدتهم ولعنوا من يخالفهم .

أساقفة القسطنطينية يعقدون مجمعاً ويشقون عن روما :

عندما بلغ أساقفة القسطنطينية ما أقره مجمع القسطنطينية الرابع من انبثاق الروح القدس من الآب والابن معا ، ولعن بطريرك القسطنطينية وجعل الرئاسة في روما ، عمل أساقفة القسطنطينية على عقد مجمع آخر يردون من خلاله على عقيدة المجمع القسطنطيني الرابع ، وفي عام ٨٧٩م تمكنوا من عقد مجمع القسطنطينية الخامس واتخذ المجمع القرارات التالية :

١ – إلغاء جميع قرارات المجمع السابق ، وعدم الاعتراف به مجمعاً مسكونياً

٢ – الإصرار على أن روح القدس منبثق من الآب وحده ، لا من الآب والإبن . (٢)

ومنذ ذلك الحين انقسم القائلون بالطبيعتين والمشيئتين (للمسيح) إلى كنيستين : الكنيسة الرومانية الغربية اللاتينية ، والكنيسة الشرقية اليونانية الأرثوذوكسية .

---

(١) يراجع في هذا بالتفصيل علم اللاهوت / ميخائيل مينا – ص ٤٢ :٤٥ ويا أهل الكتاب / د : رؤوف شلبي – ص ٢٥ ، والمسيحية عبر العصور / إيريل كيرنز ص ٢٢٩-٢٣٣ .

(٢) يا أهل الكتاب ص ٢٥٢ ، ومحاضرات في النصرانية – ص ١٥٧ ، والمسيحية أحمد شلبي – ص ١٤٠ – ط النهضة .

ويطلق النصارى علي هذه المرحلة مرحلة الانشقاق العظيم ، وعن هذا المصطلح يقول الشيخ / محمد تقى العثمانى " مصطلح الإنشقاق العظيم ، مصطلح من مصطلحات تاريخ المسيحية ، والمراد منه الخلاف الشديد العنيف ، البعيد المدى بين الكنيسة الشرقية ، والكنيسة الغربية الكاثوليكية للأبد ، وأطلقت على نفسها اسم (الكنيسة الأرثوذوكية)

والانشقاق العظيم يرجع إلى أسباب أهمها :

١ – **السبب الأول** : وذلك هو الخلاف بين الكنيستين فى أقنوم روح القدس ، كانت الكنيسة الشرقية تعتقد أنه نبع من أقنوم الأب ، وكانت الكنيسة الغربية تعتقد أنه نبع من أقنومى الأب والإبن ، كما كانت الكنيسة الشرقية ترى أن الابن أقل رتبة من الآب ، بينما ترى الكنيسة الغربية أنهما سواء فى الرتبة .

٢- **السبب الثاني سياسى** : فإن الإمبراطورية الرومانية كانت قد توزعت بين جزئين فصارت مدينة القسطنطينية خصماً لدوداً لمدينة روما القديمة ، ورغم ذلك فإن الباب الرومانى لم يكن يرضى أن يتنازل عن سلطته لبطريرك القسطنطينية ، أو يجعله شريكاً له فيها ، ومن أجل هذا كانت مواد الشقاق تختمر ، ويتهيأ بركانه للإنفجار ، عندما حاول البابا (ليو التاسع) في سنة ١٠٥٤ م أن يفرض العقائد والأفكار الغربية على الشرق ، ورفض بطريرك القسطنطينية (ميكائيل)أن يعترف به ، فكان ذلك كصب البترول على النيران وحدث الانشقاق العظيم (١).

---

(١) النصرانية : محمد تقي العثماني – ص ١١٢، ١١٣ – ط رابطة العالم الاسلامى .

وهكذا تتضح الفروق بين الكنيستين الشرقية والغربية من الجدول التالى :

الكنيسة الشرقية	الكنيسة الغربية
١ - تعتقد أن الروح القدس انبثق من الأب فقط .	١ - تعتقد أن روح القدس انبثق من الأب والابن معاً
٢ - تعتقد أن الابن أقل رتبة من الأب	٢ - تعتقد ان الأب والابن فى مرتبة واحدة
٣ - تعتقد أن الرئاسة الدينية لكنيسة القسطنطينية	٣ - تعتقد ان الرئاسة الدينية للكنيسة الرومانية
٤ - تسمى نفسها الأرثوذكية ، وهى كلمة مؤلفة من كلمتين يونانيتين تعنيان المذهب الحق أو المذهب المستقيم	٤ - تسمى نفسها الكنيسة الكاثوليكية وهى كلمة يونانية بمعنى العام أو العالمى

ولكل من هاتين الكنيستين أتباعها ومناطق نفوذها

" فالتابعون للكنيسة الشرقية أكثرهم فى الشرق ، وبلاد اليونان وتركيا وروسيا والصرب ، وغيرها ، ولهم بطاركة أربعة أولهم بطريرك الاسكندرية للروم الارثوذكس (١) ثم بطريرك أنطاكية ، ثم بطريرك أورشليم ... وأما من مناطق نفوذ الكنيسة الغربية والتابعين لها فاكثرهم

---

(١) وهم غير الكنيسة الأرثوذكية المصرية حيث يختلفون معها فى عقيدة الطبيعية والطبيعتين ولا يعترفون برئاسة بابا الاسكندرية .

فى الغرب ، وايطاليا وفرنسا ، وبلجيكا وأسبانيا والبرتغال وأمريكا الجنوبية ، وبلاد أخرى كثيرة (١)

وهكذا كانت ولا تزال مشكلة انبثاق الروح القدس ميداناً مستعراً من ميادين الصراع العقدى بين النصارى حتى اليوم ، وقد انفصلت بسببه الكنائس ، وتضاربت المجامع ، وتبادلت التكفير ورمى بعضها بعضاً بالهرطقة والضلال .

ومن الجدير بالذكر أن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية قد أخذت بمذهب الانبثاق من الأب وحده فازدادت بذلك هوة الخلاف ، واحتدمت معركة الصراع بين كنيستى روما والإسكندرية (٢) .

الروح القدس فى عقيدة الإسلام :

واذا كانت النصارى قد ألهت بمجامعهم الروح القدس ، وجعلت منه الاقنوم الثالث فى تلك الشركة الالوهية (المزعومة) ، وبعد أن ألهوه خلقوا تلك المشكلة الجديدة ، وهى مشكلة (الانبثاق المزعوم) ، فإن الإسلام قد كشف وجه الحق فيما يتعلق بالروح القدس ، كما بين الحق فيما يتعلق بالمسيح عليه السلام - فلم ينكر الإسلام وجود الروح القدس ، ولا علاقته بعيسى - عليه السلام - ولا بإخوانه من أنبياء الله تعالى ورسله - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - فعن علاقة المسيح بالروح القدس يقول تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا

---

(١) الأسفار المقدسة / على عبد الواحد وافى ص ١٢٥-١٢٦ ، والموسوعة الميسرة فى الملل والمذاهب / د. مانع بن حماد الجهنى - جـ ٢ - ص ٥٨١ :٥٨٣ - ط ٣ دار الندوة العالمية .

(٢) يراجع فى هذا كتابى الروح القدس وعمله فينا ، وك انبثاق الروح القدس / للبابا شنودة الثالث - ط الخبة .

عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ)(١) وعن الروح القدس فى الآية الكريمة يقول الإمام الرازى " واختلفوا فى الروح القدس على وجوه : أحدها : - أنه جبريل عليه السلام ، وإنما سمى بذلك لوجوه . أحدها أن المراد من روح القدس الروح المقدسة ، كما يقال حاتم الجود وبن صدق ، فوصف جبريل بذلك تشريفاً وبياناً لعلو مرتبته عند الله تعالى.

الثانى : سمى جبريل – عليه السلام – بذلك لأنه يحيا به الدين ، كما يحيا البدن بالروح ، فإنه متول لإنزال الوحى إلى الأنبياء ، والمكلفون فى ذلك يحيون فى دينهم .

الثالث : أن الغالب عليه الروحانية وكذلك سائر الملائكة غير أن روحانيته أتم وأكمل

الرابع : سمى جبريل – عليه السلام – روحاً لأنه ما ضمته أصلاب الفحول وأرحام الأمهات .

وثانيها : المراد بروح القدس الإنجيل كما قال تعالى فى القرآن " روحاً من أمرنا " (الشورى : ٥٢) وسمى به لأن الدين يحيا به ومصالح الدنيا تنتظم لأجله .

وثالثها : أنه الاسم الذى كان يحيا به عليه السلام الموتى ، عن ابن عبا س وسعيد بن جبير .

ورابعها : أنه الروح الذى نفخ فيه والقدس هو الله تعالى ، فنسب روح عيسى – عليه السلام – إلى نفسه تعظيماً وتشريفاً وإطلاقه على جبريل أولى لأن قوله تعالى (وأيدناه بروح القدس) يعنى قويناه والمراد من هذه التقوية الإعانه وإسنادها إلى جبريل – عليه السلام – حقيقة

(١) سورة البقرة : آية رقم : ٨٦ .

وإلى الإنجيل والاسم الأعظم مجاز ، فكان إطلاقها على جبريل أولى (١) ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ)(٢) فالروح القدس ليس إلهاً مع الله – عز وجل – كما ادعى النصارى وإنما هو عبد مخلوق مهمته تبليغ رسالات الله لأنبيائه ورسله وعيسى – عليه السلام – أحد هؤلاء الرسل فلا غرو أن يؤيده الله بالروح القدس.

---

(١) مفاتيح الغيب للإمام الرازي – جـ٣ – ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

(٢) سورة النحل – جزء من الآية ١٠٢ .

المطلب الثانى

الصراع العقدى بين النصارى حول طبيعة المسيح – عليه السلام :

تناولنا فى المطلب السابق الصراع العقدى بين النصارى حول ألوهية الروح القدس وانبثاقة ، وكيف أدى ذلك الصراع إلى انقسام عظيم فى الكنيسة وبين أتباعها ، وفى هذا المطلب نجلى للقارئ الكريم فصلاً آخر ، ومعركة جديدة من معارك الصراع العقدى بين النصارى ، يتعلق ذلك الصراع بطبيعة المسيح – عليه السلام – ، وهذا الصراع حول طبيعة المسيح ، وإن كان يسبق فى التاريخ الصراع حول روح القدس ، إلا أننا قدمناه لأهميته حيث إن الطعن فى ألوهية الروح القدس يترتب عليه القضاء على عقيدة التثليث ، وبالتالى فهو هدمٌ لبناء المسيحية التثليثية من القواعد ، سرعان ما تخر سقف المسيحية التثليثية بسببه فوق رؤوس أصحابها .

ماهية الصراع وأهميته : –

أقر مجمع نيقية عقيدة ألوهية المسيح والتثليث ، ولم يتعرض لإثارة هل للمسيح طبيعة واحدة لاهوتية ناسوتيه ، اتحد بعضها ببعض حتى صار طبيعة واحدة ؟ أم أن طبيعة المسيح الناسوتية أى كونه إنساناً خلق من العذراء مريم ، وطبيعته اللاهوتية (المزعومة) قد بقيتا فى المسيح من غير إتحاد ولا امتزاج ؟ تلك هى ماهية الصراع الذى دارت رحاه فى منتصف القرن الخامس الميلادى ، وكان هو السبب فى انفصال كنيسة الإسكندرية عن كنيسة روما ، وعن هذا الصراع يقول شنودة الثالث (موضوع طبيعة المسيح موضوع هام جداً ، كان سبب انقسام خطير فى الكنيسة فى منتصف القرن الخامس سنة ٤٥١م (١) ثم يمضى

---

(١) طبيعة المسيح / شنودة الثالث – ص ٥ – ط المحبة .

شنودة الثالث في بيان عقيدة كنيسة الإسكندرية القائلة بالطبيعة الواحدة راداً على غيرها من الكنائس القائلة بالطبيعتين فيقول " السيد المسيح هو الإله الكلمة المتجسد ، له لاهوت كامل ولاهوته متحد بناسوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغير ، اتحاداً كاملاً اقنومياً جوهرياً تعجز اللغة أن تعبر عنه حتى قيل إنه سر عظيم ". عظيم هو سر التقوى " الله ظهر في الجسد (اتى ٣ : ١٦)

وهذا الاتحاد دائم لا ينفصل مطلقاً ولا يفترق ، نقول عنه في القداس الإلهي " إن لاهوته لا يفارق ناسوته لحظة واحدة ، ولا طرفة عين "

الطبيعة اللاهوتية (الله الكلمة) اتحدت بالطبيعة الناسوتية التي أخذها الكلمة (اللجوس) من العذراء مريم بعمل الروح القدس ، الروح القدس طهر وقدس مستودع العذراء طهارة كاملة حتى لا يرث المولود منها شيئاً من الخطيئة الأصلية ، وكون من دمائها جسداً اتحد به ابن الله الوحيد ، وقد تم هذا الاتحاد منذ اللحظة الأولى للحبل المقدس في رحم السيدة العذراء وباتحاد الطبيعتين الإلهية والبشرية داخل رحم السيدة العذراء، تكونت منهما طبيعة واحدة هي طبيعة الله الكلمة المتجسد ، لم تجد الكنيسة المقدسة تعبيراً أصدق وأعمق وأرق من هذا التعبير ، وهو التعبير الذي ، استخدمه كل من القديس كيرلس الكبير ، والقديس إثنا سيوس (١) وعلى هذا فالكنيسة القبطية ترى أن المسيح – عليه السلام – له طبيعة واحدة لاهوتية ناسوتية اتحدتا في رحم مريم العذراء بواسطة الروح القدس الذي كان لابد من تدخله – في زعم – حتى لا يصل إلى المسيح شئ من الخطيئة البشرية عن طريق أمه العذراء " وتشترك في هذا الإيمان الكنائس السريانية والأرمنية والأثيوبية والهندية ، وهي الكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية الكاثوليكية ،

---

(١) المرجع السابق – ص ٧ .

واليونانية الروم الأرثوذكسية فتؤمن بطبيعتين للسيد المسيح ، وتشترك في هذا الاعتقاد أيضاً الكنائس البروتستانتية ، ولذلك تعرف كل هذه الكنائس باسم أصحاب الطبيعتين) (١)

بداية ظهور هذا الصراع ونتيجته :

وبعد أن عرفنا ماهية الصراع وأهميته عند النصارى ، نشرع الآن في بيان بداية ظهوره ونتيجته .

أ – بداية ظهور الصراع حول طبيعة المسيح :-

في نهاية القرن الرابع الميلادي ظهر اتجاهان رئيسيان يتعلقان بطبيعة المسيح ، يتناقض كل منهما مع الآخر من ناحية ، ويتناقضان ما أقره مجمع نيقية من ناحية أخرى من أن المسيح إله كامل وإنسان كامل ، تبنى الرأي الأول منهما رجل يسمى " أبوليناديوس " فأنكر أن يكون المسيح فيه روح إنسانية ، وادعى أنه إله محض ، وتبنى الرأي الثاني منهما رجل يسمى " نسطور " فأعلن أن المسيح إنسان فقط ، وليس فيه شئ من الألوهية ، وعن الرأي الأول يقول " إيرل كيرنز " " من الآراء حول طبيعتي المسيح التي ظلمت ناسوت المسيح ولم تعطه حقه ، الرأي الذي طوره " أبوليناديوس " الذي كان مدرساً للخطابة ، وتحدد وأصبح أسقفاً في لاودسية ، وقد قدم أبوليناديوس تعليمه الغريب عن لاهوت المسيح وناسوته عندما كان في الستين من عمره وفي محاولة منه لتجنب ما رآه غير لازم من فصل ما بين لاهوت المسيح وناسوته ، علم أبو ليناديوس أن المسيح كان له جسد ونفس حقيقيان ، ولكن روح الإنسان في المسيح قد استبدلت بحلول اللوجوس أي (الكلمة) فيه

(١) طبيعة المسيح / شنودة الثالث : ص ٨ .

واللوجوس باعتباره العنصر الإلهي الذى عمل بنشاط ليتسيد على العنصر الخامل الذى هو الجسد والنفس فى شخص المسيح ، لقد ركز على لاهوت المسيح ، لكنه قلل من أهمية طبيعته البشرية (ناسوته) ، ولقد أدينت اراؤه رسمياً فى مجمع القسطنطينية المسكونى فى عام ٣٨٢م(١)

ومن هذا يتبين أن ابو ليناديوس قد اثبت للمسيح – عليه السلام– جسداً إنسانياً ، ونفى عنه الروح والنفس الإنسانية فتعارض بهذا رأيه مع رأى القائلين بأن المسيح إله كامل ، وإنسان كامل ، وعن الرجل الثاني " نسطور " وعقيدته يقول شنودة الثالث " كان نسطور بطريركاً للقسطنطينية من سنة ٤٢٨ م حتى حرمه مجمع أفسس المسكونى المقدس سنة ٤٣١م وكان يرفض تسمية القديسة العذراء مريم بوالدة الإله ، ويرى أنها ولدت إنساناً ، وهذا الإنسان حل فيه اللاهوت لذلك يمكن أن تسمى العذراء أم يسوع ، وقد نشر هذا التعليم (انطاسيوس) وأيد هو تعليم ذلك القس ، وكتب خمسة كتب ضد تسمية العذراء والدة الإله ، ويعتبر أنه بهذا (قد أنكر لاهوت المسيح ، وحتى قوله ان اللاهوت قد حل فيه لم يكن بمعنى الاتحاد الاقنومى ، وإنما حل بمعنى المصاحبة وقال إن العذراء لا يمكن أن تلد الإله ، فالمخلوق لا يلد الخالق وما يولد من الجسد ليس سوى جسد (٢) وهكذا كان (نسطور) هو وقسيسه يؤمنان بأن مريم العذراء لم تلد إلهاً ، وإنما ولدت بشراً كسائر البشر ، بيد أن الله فضله على البشر بالنبوة ، كما يبدو هذا فى كلامه الذى ذكره شنودة نفسه ، ومن أجل مقالة نسطور هذه انعقد : مج افسس المسكونى الثالث فى سنة ٤٣١م لإقرار ان فى المسيح طبيعة لاهوتية منذ ان كان فى رحم مريم ، ولعن نسطور ، ومن يرى رأيه ثم وضع مقدمة قانون الإيمان والتى تقول " نعظمك يا أم النور الحقيقي

(١) المسيحية عبر العصور : ص ١٥٦ .

(٢) طبيعة المسيح : ص ١٠ .

ونمجدك أيتها العذراء القديسة والدة الإله ، لأنك ولدت مخلص العالم أتى وخلص نفوسنا المجد لك يا سيدنا وملكنا المسيح فخر الرسل إكيل الشهداء تهليل الصديقين ثبات الكنائس غافر الخطايا نكرز ونؤمن بالثالوث المقدس لاهوت واحد نسجد له ونمجده يا رب ارحم يارب بارك آمين " (١)

مجمع خلقيدونية ٤٥١م والانشقاق بعده :

ومع أن مجمع افسس قد عُني بالرد على نسطور والتأكيد على الطبيعة اللاهوتية للمسيح – على زعمهم – فإنه مع ذلك لم يفصل فى قضية الطبيعة والطبيعتين ، وإنما استمر ذلك الخلاف ، كما يذكر " جون لوربر " ونتيجة لانتشار ذلك الخلاف وتغير الظروف السياسية فى روما ، انعقد مجمع خلقيدونية (٢) الذى حضره ما بين خمسمائة وستمائة من الأساقفة للفصل فى أمر الطبيعة والطبيعتين ، وبعد مناقشات طويلة تصدى خلالها " ليو " بابا روما للقائلين بالطبيعة الواحدة ، ومنهم الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، خرج المجمع بقانون الإيمان الخلقيدونى ، والذى يعلن فيه أن فى المسيح طبيعتين لا طبيعة واحدة ، ويلغى قرار مجمع إفسس .

نص قانون مجمع خلقيدونية :

" فلهذا كلنا بصوت واحد نعلم البشر أن يقروا بالإبن الوحيد والمولود الوحيد الله الكلمة الرب يسوع المسيح (٣)

---

(١) تاريخ الكنيسة القبطية : منسى حنا – ص ٢٥٦ وللمزيد من التفصيل حول مجمع افسس يراجع تاريخ الكنيسة – جـ ٢ ص ١١٢– ١٢٢ .

(٢) تاريخ الكنيسة : جـ٢ منص ١٢٢–١٢٨ .

(٣) يراجع طبيعة المسيح : شنودة الثالث – ص ١١–١٢ ، تاريخ الكنيسة القبطية – ص ١٥٨ .

وينقل الشيخ أبو زهرة – رحمه الله – عن مؤلفة كتاب تاريخ الأمة القبطية – أن الأساقفة القائلين بالطبيعة الواحدة والقائلين بالطبيعتين، قد تعاركوا بالألسنة والأيدي ، ورمى بعضهم بعضاً بالسب والهرطقة حتى تدخل رجال الحكومة الرومانية لفض هذا الاشتباك . [1]

ولا تعترف الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بمجمع خلقيدونية بل وتعده هرطقة وبدعة [2] .

انفصال الكنيسة المصرية عن الكنيسة الغربية :

ونتيجة لقرار مجمع خلقيدونية وإصرار الكنيسة المصرية على ما ذهبت إليه من القول بالطبيعة الواحدة ، وإصرار كنيسة روما على القول بالطبيعتين ، واتهام كل من الكنيستين الأخرى بالهرطقة والتجديف حدث (منذ ذلك الوقت) الانفصال بل والصراع بين كنيسة روما الكاثوليكية ومشايعيها من ناحية وكنيسة الإسكندرية ومشايعيها من ناحية أخرى .

الاضطهاد الروماني للمصريين بسبب عقيدتهم :

يذكر الأستاذ جون لوركر أن الرومان بعد مجمع خلقيدونية قد عزلوا ديوسقروس بابا الإسكندرية ، وأمروا بنفيه وقاموا بتعيين رجل آخر موال لكنيسة روما ، لكن المصريين انقضوا عليه وقتلوه ، وطالبوا

---

(١) تاريخ الكنيسة : جـ٣ ص ٢٢٨ .

(٢) محاضرات في النصرانية : ص ١٦٩ .

بتعيين بطريرك على مذهبهم وكان الرومان كثيراً ما يضطهدون المصريين من أجل ذلك ، وقلما استجابوا لهم ، ولقد أوقع الرومان بالمصريين من الاضطهاد مثلما أوقعوه بالنصارى قبل أن تتنصر الإمبراطورية الرومانية(١) وقد ظل ذلك الاضطهاد قائما حتى الفتح الإسلامى لمصر فى القرن السابع الميلادي .

ولم ينقذ المصريين من يد الرومان ، ولم يرُد بنيامين بابا الإسكندرية المعزول الهائم على وجهه في الصحراء ، خوفاً من الرومان إلا الإسلام ورجاله ، كما شهد بذلك النصارى أنفسهم . (٢)

وقد ظهر فى منتصف القرن السادس الميلادى رجل يسمى يعقوب البرادعى تبنى المذهب القائل بالطبيعة الواحدة وعمل على نشره، ونشط فى ذلك نشاطاً كبيراً حتى نسب ذلك المذهب إليه ، واشتهر بالمذهب اليعقوبى ، وسمى أتباعه باليعاقبة (٣) كما سمى أتباع مذهب الطبيعتين بالملكانية نسبة إلى ملك الرومان (٤) وإذا كان الاختلاف فى طبيعة المسيح هو الخلاف الرئيسى بين الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية ، فإن هناك اختلافات أخرى أججت نار الصراع ووسعت دائرة الخلاف بينهما نوجزها فى النقطة التالية .

---

(١) يراجع تاريخ الكنيسة : جـ ٢ – ص ١٣٩ .

(٢) يراجع تاريخ الكنيسة المصرية : رفيق حبيب ، محمد عفيفى : ص ٤١-٤٢ – ط الدار العربية للطباعة والنشر ص ١٩٤ .

(٣) للتعرف على تاريخ : يعقوب البرادعى ورأية يراجع تاريخ الكنيسة القبطية : منسى حنا – ص ٢٧٣ .

(٤) يراجع فى هذا الفصل فى الملل والأهواء والنحل : للإمام ابن حزم الأندلسى – جـ١ – ص ٤٨ ،٤٩ – ط دار المعرفة ومحاضرات فى النصرانية– ص١٧٢،١٧٩.

أهم ميادين الصراع الأخرى بين الكاثوليك والأرثوذكس :

إذا كان الصراع العقدى حول طبيعة المسيح - عليه السلام - كان هو السبب الأعظم فى انفصال كنيسة الإسكندرية الأرثوذكسية أى المستقيمة الرأى - فى زعمهم - عن كنيسة روما التى أطلقت على نفسها مصطلح " الكاثوليكية " أى المذهب العام أو (الكنيسة الأم) وكلا التسميتين الكاثوليكية والأرثوذكسية فيها دليل على اعتزاز كل كنيسة برأيها وإعلانها أن رأيها الحق الذى ما سواه باطل ، أقول إذا كان الأمر كذلك فإن هناك ميادين أخرى للصراع بين الكنيستين غير موضوع الطبيعة والطبيعتين ، نحاول أن نوجز أهمها فيما يلى : -

١ - الصراع حول الخلافة الرسولية :

ويقصد بذلك من هى الكنيسة الجديرة بأن تكون الكنيسة الأم ، أو التى تحمل لواء المسيحية فى العالم ، أو الجديرة بأن يكون فيها الكرسى الرسولى أى كرسى خلفاء المسيح - فى زعمهم - ؟ فادعت كنيسة روما أنها أم الكنائس ، وأن رئيسها هو الحبر الأعظم ، محتجة لذلك بأن مؤسس كنيسة روما هو بطرس رئيس الحواريين الذى قال له المسيح " أنا أقول لك أنت الصخرة وعلى هذه الصخرة سأبنى كنيستى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها " (١) ويطلق على رئيسها أيضاً كلمة " البابا " " والبابا كلمة مشتقة من الكلمة القبطية بى أبا ، أى البابا أو الأب هو الرئيس الأول فى الديانة النصرانية الكاثوليكية ، وكان فى بادئ الأمر يسمونه البطريرك ، وأول من تسمى بالبطريرك هو حانيا تلميذ مرقس الإنجيلى، وكان الأساقفة يدعون البطريرك بالأب تعظيماً له فاشتبه الأمر عليهم فى العصور المتقدمة ، وأرادوا أن يميزوا بين البطريرك والأسقف ، فدعوا

---

(١) إنجيل متى: ص ١٦ ف ١٨.

البطريرك " بابا " ، ومعناه أبو الآباء ، وأول ظهور لهذا اللقب كان فى مصر ، ثم نقل إلى صاحب كرسى بطرس الرسول فى روما ، وفى سنة ١٠٨١ م قرر المجمع اللاترانى بأن مطران روما له السلطة التامة على سائر المطارنة ، وهو وحده يحمل لقب البابا الذى معناه المطران العام ، وفى سنة ١٨٦٠ م قرر المجمع الفاتيكانى عصمة البابا من الخطأ ، (١) ولقد زاد من نفوذ باباوات روما إنشاء ما يسمى بدولة الفاتيكان ، والبابا هو رئيس تلك الدولة " تبلغ مساحة الفاتيكان حوالى ١١٠ فداناً ، وفى عام ١٨٧٠ م أصبحت هذه الدولة جزءاً من إيطاليا ، وبموجب إتفاقية لاتران سنة ١٩٢٩ م عين البابا حاكماً عليها على سبيل التعويض ، وقد تم توقيع وثيقة تاركية بين إيطاليا والفاتيكان ، فى عام ١٩٤٨ م تعترف إيطاليا بموجبها لأول مرة بحق كل منهما أن تكون دولة مستقلة ذات سيادة ، وتعتبر مكتبة الفاتيكان المؤسسة فى القرن الخامس عشر من أقدم مكتبات العالم ، وتحتوى على خمسين ألف مخطوط ، وبها ما يقرب من أربعمائة ألف كتاب كثير منها نادر (٢) " ومداخل الفاتيكان تتمثل فى ثلاثة أبواب (باب البرونز) (وباب قوس الأجراس) و (باب القديسة آن) ويقع القصر البابوى لرئيس دولة الفاتيكان فى ميدان القديس بطرس ، وأما كرسى البابا فهو كرسى ضخم مصنوع من الذهب والبرونز ، وزخارفه الغريبة ، تعود للقرن الثانى الميلادى ، وللفاتيكان إذاعة هى الوحيدة فى العالم التى تبث بـ ٣٧ لغة ... وسكان الفاتيكان يحملون الجنسية (الفاتيكانية) هذه الجنسية التى تسمح لحاملها فى إيطاليا بتسهيلات وخدمات ضخمة بإعفائه من الضرائب ، والخدمة العسكرية وشراء وقود السيارات بسعر التكلفة ، وللصحافة فى عاصمة الكنيسة مكانة هامة ، إذ على محدودية الدولة إلا أنه يصدر فيها أربع صحف"(٣).

---

(١) الموسوعة الميسرة : ص ٩٩١ .

(٢) المرجع السابق : ص ١١١٦ .

(٣) على أعتاب الفاتيكان : محمد عيسى داود – ص ١١، ١٤ – ط البشير .

وعلى هذا فإن النصارى الغربيين يعتقدون أن بابا روما هو خليفة بطرس وله الكلمة العليا على المسيحيين فى كل المسكونة ، وذلك لأنه الوريث الشرعى لبطرس رئيس الحواريين ، وإذا كان هذا هو رأى كنيسة روما ، فإن كنيسة الإسكندرية لا تسلم لها بالزعامة أو الخلافة الرسولية ، ولا تعترف بباباوات روما ، وإنما يعتقد المسيحيون الأرثوذكس بأن التقدم والزعامة لبطريرك الإسكندرية وذلك لأنه خليفة الرسول مرقس صاحب الإنجيل ، والذى دخلت المسيحية مصر على يديه (١)

وكان خلفاؤه يدعون بطاركة الإسكندرية حتى بعد قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ م ، ونتيجة لعوامل سياسية فى العقد السادس من القرن العشرين ، أعطى بطريرك الإسكندرية لقب (البابا) (٢)

فصار يدعى بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

ب - الصراع حول انبثاق الروح القدس :

حيث ترى الكنيسة الغربية أن روح القدس منبثق عن الأب والإبن معاً ، بينما ترى الشرقية انبثاق الروح القدس عن الأب فقط .

جـ - الصراع حول المساواة بين الآب والإبن :

فقد رأت الكنيسة الغربية أن الابن والأب متساويان فى الرتبة ، بينما ترى الشرقية بأن الأب أعظم درجة من الإبن وبسبب هذه الخلافات بالإضافة إلى الاختلاف حول الطبيعة والطبيعتين ، حاولت الكنيسة الرومانية بتاييد من الدولة أن تمعن فى اضطهاد النصارى الشرقيين ، وإكراههم على اعتناق المذهب الكاثوليكى ، فكان اضطهادهم لا يقل بحال عن اضطهاد الرومانيين قبل تنصرهم للنصارى ،وفى هذا يقول د / محمد

---

(١) للمزيد من التعرف على مرقس يراجع تاريخ الكنيسة القبطية ص ١١: ١٦ .

(٢) تراجع جذور الفتنة الطائفية فى مصر : جمال بدوى – ص ٥٠- ٥٥ – ط الهيئة العامة

عمارة " ولقد مارست الكنيسة النصرانية الغربية ، ومعها الدولة الرومانية والبيزنطية ، بعد تدين هذه الدولة بالنصرانية ، مارستا حرباً من الاضطهاد البشع ضد النصرانية الشرقية ، والمصرية منها على وجه الخصوص ، حتى لقد اعتبر النصارى المصريون هزيمة الدولة البيزنطية أمام الفتح الإسلامي عقاباً إلهياً لهذه الدولة وكنيستها على الاضطهاد الذي مارسوه ضد نصارى مصر ، عندما أصبحوا في هذا الاضطهاد الديني والحضاري طعاماً للنار ، والأسود وأسماك البحار وصبت عليهم كل ألوان التعذيب . فكتب ميخائيل السرياني يقول " لم يسمح الإمبراطور لكنيستنا المونوفيزتية أي القائلة بالطبيعة الواحدة للمسيح بالظهور ، ولم يصغ إلى شكاوى الأساقفة فيما يتعلق بالكنائس التي نهبت . ولهذا انتقم الرب منه ، لقد اقتحم الرومان الأشرار ، كنائسنا وأديرتنا بقسوة بالغة . واتهمونا دون شفقة . ولهذا جاء إلينا من الجنوب أبناء إسماعيل (أي العرب المسلمون) ينقذونا من أيدي الرومان ، وتركنا العرب نمارس عقائدنا بحرية وعشنا في الإسلام (١) وإذا كان عداء الكنيسة الكاثوليكية للكنائس الشرقية قد بلغ هذه الدرجة مع النصارى الأرثوذكس ، فلا عجب بعد ذلك مما صنعته الكنيسة الغربية مع العالم الإسلامي . فقد رضيت لنفسها أن تكون أداة في يد الاستعمار ضد المسلمين ، فلقد شنت ضد الشرق الإسلامي حرباً صليبية مقدسة ، استغرقت حملاتها قرنين من الزمان ٤٨٩-٦٩٠ م ، ١٠٦٩إلى ١٢٩١م ، وأشركت فيها الملوك وأمراء الإقطاع والرعاع من سائر أنحاء أوربا حتى لكانتها أول الحروب العالمية التي مارسها الغرب ضد الشرق ، وفي الحرب الصليبية استخدمت الكنيسة الدين لتحقيق المقاصد الاستعمارية ، ولإعادة الشرق من التحرر الإسلامي الذي أنقذ الشرق ونصرانيته من إبادة الاضطهاد الإغريقي الروماني الذي دام عشرة قرون ، من الإسكندر الأكبر في

---

(١) الغرب والإسلام أين الخطأ وأين الصواب ؟ د : محمد عمارة ص ١٢١، ١٢٢ – ط دار الشروق –

القرن الرابع قبل الميلاد إلى الفتوحات الإسلامية في القرن السابع للميلاد (١) .

وقد اصطحبت تلك الحملات معها رجال الدين من الكاثوليك وجيوشاً ضارية ، قد فقدت قلوبهم كل معاني الإنسانية " ففي موقعة الصليبين للقدس وحدها سنة ١٠٩٩ م تمت مجزرة الإبادة الكاملة لسكانها المسلمين ومعهم اليهود بالقتل والذبح والإحراق ، ونحن ننقل عن شهود العيان النصارى الذين حفظت لنا مشاهداتهم المصادر النصرانية ، لمحة من لمحات هذه الحرب الدينية النصرانية على الإسلام والمسلمين ، تقول هذه الشهادات – في كتاب تاريخ الحروب المقدسة في الشرق ، المدعوة حرب الصليب " عن ديوان المشورة العسكرية وقطع حكماً مرهباً ، وهو أن يمات كل مسلم باق داخل المدينة المقدسة ، وهذا الحكم المهيل قد تباشر بالعمل ، ودامت هذه الملحمة مدة سبعة أيام كاملة ، وحتى الذين هربوا واحتموا بالمسجد – مسجد عمر بن الخطاب – (قبة الصخرة) ذبحهم الصليبيون في المسجد ، وبعبارة شهود العيان على أنه عبثاً ، كان المسلمون في أورشليم يجدّون مفتشين عن مهرب يحمون به حياتهم ، فعدد كبير منهم قد هربوا إلى جامع (عمر) ظانين أنهم هناك يحمون ذواتهم من الموت ، ولكن ظنهم خاب ، إذ أن الصليبيين خيّالة ومشاة قد دخلوا الجامع وأبادوا بحد السيف كل الموجودين هناك حتى استوعب الجامع بحراً متموجا ، علا إلى حد الركب ، بل إلى لُجُم الخيل ، وذلك مما فتكت به سيوف الجيوش الصليبية رقاب المسلمين (٢) وهكذا يبدو بجلاء مدى الوحشية الكاثوليكية في تلك الفترة ، فلم يرحم الصليبيون شيخاً كبيراً ولا صبياً صغيراً ، بل ولم يصونوا حرمة المسجد ، كل هذا وهم يدّعون أنهم أصحاب رسالة المحبة والدعوة إلى السلام ، ويبدو أن الكنيسة الكاثوليكية والتي ذاقت من قبل ألوان الهوان على يد الرومان أيام

---

(١) المرجع السابق : ص ١٢٢ .

(٢) الغرب والإسلام : محمد عمارة – ص ١٢٤ .

وثنيتهم . قد أرادت أن تذيق المسلمين ما ذاقت (بعد أن تنصرت روما) ، لكن بصورة أشد بشاعة وأكثر وحشية .

وبالإضافة إلى ما سبق فهناك اختلافات تشريعية بين الكنائس الشرقية والغربية ، فمثلاً تحرم الكنيسة الشرقية أكل الدم والمخنوق عملاً بما قرره مجمع أورشليم الذى انعقد بعد رفع المسيح بنحو اثنتين وعشرين سنة . (١) بينما أباحت كنيسة روما أكل المخنوق والدم ، وفيما يتعلق بالعشاء الربانى حافظت الكنائس الشرقية على الخبز مع الخمر أخذه بما ورد فى الإنجيل (٢) ، بينما استبدلت الكنيسة الغربية الفطائر بالخبز ولم تر فى ذلك بأساً . وفيما يتعلق بالطلاق أجازت الكنيسة الشرقية الطلاق فى حالة الزنا ، وحرمت على كلا المطلقين الزواج ، بينما لم تجز الكنيسة الغربية الطلاق ولو لعلة الزنا (٣)

---

(١) يراجع سفر أعمال : ص ١٥.

(٢) يراجع إنجيل متى : ص ٢٦ – ف (٢٦-٢٩) .

(٣) يراجع فى هذا بالتفصيل ك شريعة الزوجة الواحدة – شنودة الثالث – ، ط الثقافة ، وك نظام الزواج فى الشرائع اليهودية والمسيحية : محمد شكرى سرور / ص ٢٨٩-٣٠٥ – ط دار الفكر العربى سنة ١٩٧٨ م ، الزواج والطلاق فى جميع الأديان : عبد الله المراغى – ص ٤٤٣-٤٤٨ – ط سنة ١٩٦٦م ، ونظام الأسرة بين الاقتصاد والدين : د / ثروت انيس الاسيوطى – ص ٢٥٨ – ط الثالثة ١٩٨٨

المطلب الثالث

الصراع العقدى بين النصارى حول المشيئة والمشيئتين :

انتهى مجمع خلقودينية سنة ٤٥١م بتقرير أن فى المسيح طبيعتين لا طبيعة واحدة ، فانفصلت بذلك كنيسة الإسكندرية نهائياً عن الكنائس الغربية القائلة بالطبيعتين ، ولم يبق الاستقرار طويلاً بين القائلين بالطبيعتين ، بل سرعان ما نشبت معركة جديدة حول موضوع جديد ، ألا وهو موضوع المشيئة والمشيئتين ، فإذا كان للمسيح طبيعتان إلهية وإنسانية – على زعمهم فهل كان له كذلك مشيئتان كما أن له طبيعتين أم أنه له مشيئة واحدة ؟

المارونيون ومذهبهم فى هذه المسألة :

المارونية طائفة من طوائف النصارى الكاثوليك الشرقيين ، ينتسبون إلى القديس مارون الذى اعتزل فى الجبال والوديان مما جذب الناس إليه مشكلين طائفة عرفت باسمه ، وكانت حياته فى أواخر القرن الرابع الميلادى فيما كان موته حوالى سنة ٤١٠م بين أنطاكية وقورس ، وقع خلاف شديد بين أتباع مارون وبين كنيسة الروم الأرثوذكس (١) مما اضطرهم إلى الرحيل عن أنطاكية إلى قلعة المضيق على نهر العاصى ، مشيدين هناك ديراً يحمل اسم القديس (مارون) ، وهناك وقع خلاف آخر فى المكان الجديد بينهم وبين اليعاقبة الأرثوذكس من أصحاب الطبيعة الواحدة عام ٥١٧ م مما أسفر عن تهديم ديرهم ، فضلاً عن مقتل ٣٥٠ راهباً من رهبانهم . (٢)

---

(١) هذا الخلاف بسبب انبثاق الروح القدس حيث يقول المارون كما يقول به الكاثوليك ه : انبثاقه من الآب والابن ويقول الروم الأرثوذكس بانبثاقه من الآب فقط .

(٢) الموسوعة الميسرة : ص ٦٢٦ .

وهكذا كانت نشأة المذهب المارونى منذ القرن الرابع الميلادى على يدىْ ذلك الرجل المسمى مارون ، الذى ادّعى أن للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة.

انتشار المارونية علي يد يوحنا مارون :

" ولد يوحنا مارون فى (سروم) قرب أنطاكية ، وتلقى دراسته فى القسطنطينية توعين أسقفاً على البترون على الساحل الشمالى من لبنان ، أظهر معتقد الموارنة سنة ٦٦٧ م ، الذى يقول بأن فى المسيح طبيعتين ولكن له مشيئة واحدة لإلتقاء الطبيعتين فى اقنوم واحد . (١)

ومن هذا يتبين أن (يوحنا مارون) ليس هو مؤسس المارونية ، وإنما هو انشط رجالها الذى ازدهرت علي يديه إلى الحد الذى دعا الكنيسة الرومانية إلى عقد مجمع للرد على المارونيين والدفاع عن عقيدة الطبيعتين والمشيئتين .

مجمع القسطنطينية الثالث سنة ٦٨٠ م :

عن هذا المجمع يقول ابن البطريق " ظهر فى القرن السابع الميلادى رجل يسمى يوحنا مارون سنة ٦٦٧ م ، وكان يدعو إلى عقيدة أن المسيح له طبيعتان ، ولكن له مشيئة واحدة ، فانزعج لذلك أصحاب المذهب القائل بالطبيعتين والمشيئتين ، واجتمع لذلك ٢٨٩ أسقفاً لمحاكمة من يخالف المذهب الملكانى ، قالوا إننا نؤمن بأن الواحد من الثالوث الابن الوحيد الذى هو الكلمة الأزلية الدائم ، المستوى مع الآب الإله فى أقنوم واحد ، ووجه واحد ، يعرف تاماً بناسوته تاماً بلاهوته فى الجوهر الذى

---

(١) يراجع السابق ص ٣٢٧ ، والأسفار المقدسة ص ١٣٤ ، ومحاضرات فى النصرانية ص ١٧٥ ، ١٧٦ .

هو ربنا يسوع المسيح بطبيعتين تامتين ، وفعلين ومشيئتين في أقنوم واحد (١)

ومن هذا يتبين أن الكنيسة الرومانية قد حكمت بالحرمان والهرطقة على أتباع المذهب المارونى بسبب إصرارهم على القول بالمشيئة الواحدة

محاولة الكنيسة الرومانية القضاء على المذهب المارونى وفشلها في هذا :

ولقد حاولت كنيسة روما القضاء على أتباع المارونية بقوة السلاح، لكنها كانت تواجه بقوة عاتية .

" فبعد يوحنا مارون أول بطريرك لطائفة الموارنة تصدى جيش من الموارنة لجيش قادة (يوستغيان الثانى) الذى أراد هدم معابدهم، واستئصالهم ، إلا أن الموارنة هزموه في أميون ، مما أظهر أمرهم كأمة جبلية ذات شخصية مستقلة (٢) .

كنيسة روما تنجح فى تقريب المارون وجعلهم حليفاً لها :

وبعد أن عجزت الكنيسة الرومانية عن القضاء على المارونية بقوة الجيش لجأت إلى سلاح المفاوضات ، فحاولت تقريب المارون ، ونجحت فى ذلك إلى حد كبير ، وفى هذا تقول الموسوعة الميسرة " لقد تحاليت كنيسة روما بعد ذلك عليها فى سبيل تقريبهم منها حيث قام البطريرك المارونى أرميا العمشيتى بزيارة لروما حوالى سنة ١١١٣م ، وعند عودته أدخل بعض التعديلات فى خدمة القداس ، وطقوس العبادة وسياسة

---

(١) نقلاً عن يا أهل الكتاب د / رؤوف شلبى – ص ٢٤٣- ٢٤٤ .

(٢) الموسوعة الميسرة : جـ ٢ – ص ٦٢٧ .

الكهنة ، ولقد زاد التقارب بينهما حتى بلغ في عام ١١٨٢م إعلان طاعتهم للكنيسة البابوية ، أما في عام ١٧٣٦ م فقد بلغ التقارب حد الاتحاد الكامل معها ، فأصبحت الكنيسة المارونية بذلك من الكنائس الأسيرة لدى بابوات روما ، لقد كان لهم دور بارز في خدمة الصليبيين من خلال تقديمهم أدلاء لإرشاد الحملة الصليبية الأولى إلى الطرق والمعابر ، وكذلك إرسالهم فرقة من النشابة المتطوعة إلى مملكة بيت المقدس ، لقد بلغ رجالهم القادرون على القتال ٤٠٠٠٠ على ما ذكر مؤرخو الحروب الصليبية[١] ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا التقارب كان ذا صبغة سياسية ، أما الناحية العقدية فكل كنيسة لا تزال محتفظة بعقيدتها [٢] وتتفق مع الكنيسة الأرمانية كنيسة الإسكندرية في القول بأن للمسيح مشيئة واحدة ، وإن اختلفت معها في عقيدة الطبيعة ، حيث ترى كنيسة الأرمن أن في المسيح طبيعتين متفقة بذلك مع كنيسة روما ، وبعد فقد كانت تلك معركة جديدة من معارك الصراع العقدي بين النصارى القائلين بألوهية المسيح ، انتهت بما تنتهي إليه تلك المعارك دائما من الاتهام بالتكفير ، وتبادل القرارات بالطرد والحرمان من رحمة الله ، ومن دائرة الخلاص المزعوم ، وقد حاولت خلالها كل كنيسة أن تنتصر لرأيها الذي لا سند لها فيه غير الهوى والظن ، بعيداً عن كتاب سماوي صحيح ، أو فكر إنساني سليم .

---

(١) المرجع السابق – ص ٦٢٧ .

(٢) يراجع محاضرات في النصرانية – ص ٢٠٢ .

" المبحث الثالث "

الصراع العقدى بين الكنائس التقليدية والإصلاحية وموقف الإسلام منه :

تمهيد :

تناولنا فيما سبق أهم ميادين الصراع العقدى بين الطوائف النصرانية القديمة حول عقيدة التثليث ، وفى هذا المبحث نعرض – بحوله تعالى وقوته – إلى ميدان جديد من ميادين الصراع العقدى بين الطوائف النصرانية المثلثة ، وهو صراع ظهر وانتشر منذ بداية القرن السادس عشر الميلادى . إنه الصراع بين الكنائس التقليدية أى القائلة بوجوب اتباع تقاليد الآباء المتوارثة عن المجامع والقديسين (عندهم) ، وبين الكنائس غير التقليدية أو الإصلاحية التى تدعو إلى استقاء العقائد الدينية من الكتاب المقدس مباشرة بعيداً عن الفكر البشرى ، ولو كان أصحابه يدعون قديسين ، ومن ثم تسمى تلك الحركة بعدة أسماء ، منها حركة الإصلاح الدينى أو الحركة الإصلاحية ، لأنها دعت إلى إصلاح بعض العقائد والأفكار لدى الكنائس التقليدية الكاثوليكية ، والأرثوذكس ويسمى أصحابها كذلك بالبروتستانت أى المحتجون (المعترضون) وإنما أطلق أصحابها على أنفسهم هذه التسمية لاعتراضهم على كثير من العقائد والطقوس الدينية لدى الكنيسة الكاثوليكية بوجه خاص ، ويطلق على تلك الحركة أيضاً الحركة الإنجيلية لدعوة أصحابها إلى الاعتماد على الإنجيل مباشرة دون الرجوع . إلى غيره من أقوال الآباء والقديسين ، وتسمى كذلك بالكنيسة اللوثرية نسبة إلى أكبر زعمائها مارتن لوثر (١) .

---

(١) يرجع هذا فى الأسفار المقدسة : ص ١٤٠ ، ومحاضرات فى النصرانية – ص ٢٠٤ ، والموسوعة الميسرة ص ٦٢٥ .

ويجدر التنبيه إلى أن حركة الإصلاح الديني لا تتصارع مع الكنائس التقليدية حول أصل من أصول الإيمان عندهم مثل ألوهية المسيح أو التثليث ، وإنما كان صراعها مع تلك الكنائس حول أمور أخرى عقدية وطقسية يوجزها شنودة الثالث بقوله " الخلافات بيننا وبين البروتستانت كثيرة بعضها يتعلق بالإيمان وبعضها في الطقوس ، والبعض في النظام الكنسي وفي أمور العبادة (١) ، ثم شرع شنودة في بيان تلك الاختلافات ، فبعد الاختلاف حول الطبيعة والطبيعتين في المسيح وانبثاق الروح القدس ، وقد جنحت في هاتين القضيتين كنيسة الإصلاح إلى ما ذهبت إليه الكنيسة الكاثوليكية قال " والبروتستانت لا يؤمنون بأسرار الكنيسة السبعة ، ولا يؤمنون بالتقليد أو التسليم الرسولي ، ولا يقبلون الكهنوت وينكرون الطقوس ولا يؤمنون بالاعتراف ، ولا بالعشاء الرباني ولا يؤمنون ببعض أسفار الكتاب المقدس مثل سفر طوبيا ، ويهوديت ويشوع بن سيراخ وباروخ ، وسفر الحكمة ، وسفري المكابيين وبعض أجزاء أخرى من الكتاب ، واعتبارهم " أوبكريفا " أي غير قانونية ، وعدم ضمها إلى الكتاب مثلما تضم في ترجمة الكاثوليك للكتاب ، ولا يؤمنون بأصوام الكنيسة ولا رهبانية لدى البروتستانت ولا يؤمنون بالصلاة على الموتى ، ولا شفاعة العذراء والقديسين ، ويحرمون وجود الصور بالكنيسة والأيقونات ولا يتجهون إلى الشرق في صلاتهم ، ولا يستخدمون البخور والشموع ولا يؤمنون بمواهب الروح القدس (٢)

والذي يعنينا هنا هو أهم هذه الخلافات وأبرزها ، والتي كانت بسببها تلك الحلقة من حلقات الصراع العقدي بين النصارى ، وأهم تلك الصراعات وأكثرها وحشية وضراوة ما كان حول هذين الأمرين :

الأمر الأول : سلطان رجال الكنيسة .

الأمر الثاني : عقيدة المجئ الثاني .

---

(١) اللاهوت المقارن : ص ١١ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٢-١٩ .

وفيما يلي نعرض لصراع النصارى حول هذين الأمرين:

أولا : الصراع العقدى بين الكنائس التقليدية والبروتستانتية حول سلطان رجال الكنيسة :

يعتقد النصارى (من غير البروتستانت) أن المسيح قد أعطى لرجال الدين عندهم سلطة التحريم والتحليل ، والغفران والحرمان فمن حقهم أن يعذبوا من يشاءون ، ويرحموا من يريدون فقد تنازل لهم المسيح عن تلك السلطة الإلهية المزعومة .

وفيما يلي نعرض لأدلتهم على هذه العقيدة :

استدلال الكنائس التقليدية على تلك العقيدة وبيان فسادها :

حرص كتاب الاناجيل الأربعة المعتمدة لدى النصارى على أن يثبتوا أن هناك سلطة ممنوحة من المسيح لرجال الدين عندهم فإنجيل " متى " مثلاً يعلن أن المسيح قد أعطى سلطة التحريم والتحليل لبطرس رئيس الحواريين ، حيث جاء في الإصحاح السادس عشر من هذا الإنجيل - حكاية عن المسيح - أنه سأل تلاميذه قائلاً " وأنتم من تقولون إني أنا . فأجاب سمعان بطرس قائلاً أنت هو المسيح بن الله الحي . فقال المسيح طوبى لك يا سمعان بن يونا ، فما أعلن لك هذا لحم ودم ، بل أبي الذي في السموات ، وأنا أيضاً أقول لك أنت صخرة ، وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي ، وقوات الجحيم لن تقوى عليها وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات ، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا في السماء (١) .

---

(١) إنجيل متى - ص ١٦ - ف (١٥ - ١٩) .

ويستدل النصارى التقليديون بهذا النص على أن المسيح قد أعطى لبطرس رئيس الحواريين هذه السلطة ، وإذا كانت قد أعطيت لبطرس فهي كذلك معطاة لخلفائه من بابوات روما ، وفى هذه يقول وليم باركلى " ثارت حول تفسير هذه الآيات العواصف ، وقد كان من الصعب أن يحاول أحد تفسيرها دون تحيز إلى جانب أو آخر ، لأن الكنيسة الكاثوليكية تتخذ من هذه الآيات أساساً لعقيدتها ونظامها فى مركز البابا من الكنيسة ، فقد فسرت الكنيسة الكاثوليكية هذه الآيات لتعنى أن السيد المسيح أعطى لبطرس السلطان الذى به يسمح بدخول البشر ملكوت السموات ، أو يطردهم ويحرمهم من هذا الملكوت والسلطان الذى به يغفر الخطايا لإنسان ما ، ويربط خطايا الآخر فلا تغفر ، وهكذا قالت الكنيسة الكاثوليكية فى تفسيرها أن هذا السلطان أعطى لبطرس الذى صار فيما بعد أسقفاً لروما ، وتسلل هذا السلطان وتسلم منه إلى أساقفة روما الذين جاءوا بعده ، واتخذوا خليفة البابا رئيس الكنيسة ، وأسقف روما " (١) .

بطرس الذى مُنح هذا السلطان كذاب وشيطان فى رأى المسيح :

وإذا كان متى كاتب الإنجيل الأول قد ذكر فى الإصحاح السادس عشر أن المسيح قد جعل بطرس ظله وخليفته على الأرض ، فإن الإنجيل نفسه يذكر فى الإصحاح السادس عشر نفسه بأن بطرس هذا قال له المسيح إذهب عني يا شيطان (٢) بل يشهد الإنجيل نفسه بأن بطرس هذا كان جباناً وكذاباً ، وقد أقسم بالله كذباً أنه لا يعرف المسيح

---

(١) تفسير العهد الجديد : وليم باركلى – ترجمة القس فايزفارس – جـ١ ص ٢١٣ – ط دار الثقافة .

(٢) إنجيل متى : ص ٦ – ف ٢٣ .

رغم أن المسيح قد نهاهم عن القسم (١) ولو كان حقاً فكيف لو كان كذباً؟ جاء في الإصحاح السادس والعشرين من إنجيل متى قوله " أما بطرس فكان جالسا في الدار خارجاً فتقدمت إليه جارية قائلة ، وأنت كنت مع يسوع الجليلي فأنكر قدام الجمع قائلاً لست أدري ما تقولين ، وحينما هو خارج الباب فرأته جارية أخرى فقالت للذين هناك ، وهذا كان مع يسوع الناصري ، وأنكر أيضاً بحلفان أني لست أعرف هذا الإنسان ، وبعد قليل تقدم القيام وقالوا لبطرس حقاً إنك منهم ، فإن كلامك يظهرك ، حينئذ بحرم ويحلف أنه لم يعرف هذا الإنسان ، وللوقت صاح الديك فتذكر بطرس كلام يسوع الذي قال أنه من قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات ، فخرج خارجاً وبكى بكاءً مراً " (٢)

وإذاً فنحن إما أن نأخذ بالنصين معاً فيكون بينهما اضطراب ، حيث تكذب كل منهما الأخرى ، وإما أن نأخذ بأحد النصين فنترك الآخر ويلزمنا عندئذ أن نأخذ بالمتأخر منهما ، فيكون ما آل إليه بطرس هو أنه خائن كذاب ، فكيف يؤمن مثل هذا على أن يحمل الشريعة ، فضلاً عن أن يكون هو المشرع ؟!

متى يعطي هذا السلطان للتلاميذ أجمعين :

وإذا كان كاتب إنجيل متى قد أعطى حق الحل والربط لبطرس رئيس الحواريين في الإصحاح السادس عشر من إنجيله ، فإنه قد زاد في كرمه فجاد بهذا الحق على التلاميذ أجمعين ، حيث جاء فيه " الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطا في السماء وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء " وبناءً على هذا النص يكون حق الحل والربط لرجال الدين أجمعين وليس لبابا روما وحده ، لأنه

(١) زعم النصارى أن المسيح قد نهاهم عن القسم البتة وأمرهم أن يقولوا نعم أولاً ، متى ص ٥ – ف ٣٣ ، ٣٧ .

(٢) إنجيل متى : ص ٢٦ – ف (٦٩-٧٥) .

خليفة بطرس ، لأن هذا الحق لم يمنح لبطرس دون غيره من التلاميذ ، ولقد استدل النصارى التقليديون هذه النصوص فى التخلص من تشريعات العهد القديم التى قال لهم المسيح عنها " لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل ، فانى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد ، أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل ، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى ، وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السموات ، وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيماً فى ملكوت السموات ، فانى الحق أقول لكم إنكم إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات " (١) .

وبعد هذا التأكيد من المسيح – عليه السلام – على ضرورة – الأخذ بشرائع العهد القديم لم يجد النصارى أمامهم بدأ من أن يوجدوا مثل تلك النصوص التى تعطيهم الحق فى تغيير ما شاءوا من أحكام العهد القديم ، أو حتى العهد الجديد .

على أية حال فقد اتخذت الكنائس التقليدية ، وخاصة الكنيسة الكاثوليكية من النصوص السالف ذكرها سيفاً مسلطاً على رقاب اتباعها ، والمخالفين لها ، وخاصة بعد انعقاد مجمع لاتيران الرابع ١٢١٥م بشأن المراطقة " إذ أباح للكنيسة استئصالهم ، وكانوا يُعنون بالمراطقة كل من يرى رأياً يخالف رأى الكنيسة ولو كان فى أمور تتعلق بشئون السياسة ، ونظم الحكم أو بمسائل العلوم وظواهر الفلك ، والطبيعة والأحياء ، وقد نفذ ذلك القرار بالفعل فى كثير من دعاة الإصلاح فى الدين ، وممن خالفوا اراء الكنيسة فى شئون السياسة – ومسائل العلوم " (٢) .

---

(١) إنجيل متى ص ١٨ ف (١٧ – ٢٠) .

(٢) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام د / على عبد الواحد – ص ١٤٠ .

وباسم هذه النصوص أيضا صارت الكنيسة الكاثوليكية هي الامبراطورية، وصار البابا هو الحاكم بأمره حتى في رقاب الملوك أنفسهم .

وعن هذا يقول الدكتور / عزت زكي " أما تلك الإمبراطورية الكنسية فقد كانت في واقع الأمر في تحرر كامل ، من القوى المدنية في كل دولة أو مجتمع – لقد كانت أعلى من الملوك في مستواها ، وفوق الأباطرة والأمراء فهي قديمة قبل العروش والممالك ،والملوك أنفسهم كانت تهتز عروشهم إن هم حاولوا الوقوف ضدها ، ولذلك كان عليهم أن يحنوا لها الرؤوس ويخطبوا ودها . وفي نفس الوقت ، كان هذاالنظام داعية لطبقة الإكليروس إلى التكبر والتعالي على النظم المدنية ، والمجتمعات التي يعيشون فيها ، لأنه حتى في حالة ارتكاب جريمة لم يكن من الممكن محاكمتهم على أساس القوانين السائدة في البلاد ، لقد كانوا يجاهدون للإبقاء على قوانينهم الخاصة والتي تسري عليهم . ، ومن الضروري أن نلاحظ مدى أثر هذا النظام الكنسي على الممالك والشعوب ، فقد كان رجاله يمسكون في أيديهم السلطة الدينية ، والدنيوية معاً ، وكان في حوزتهم مفاتيح السماء والأرض ، فقد كانوا يقومون بعمودية الأطفال، وعلى الرغم من أنه لم يكن لهم الحق في عقد الذبيحات ، كانت كل الذبيحات تتم على أيديهم ، فإذا جاءت الساعة الحاسمة في حياة الإنسان كانوا هم الذين يغمضون أعين الموتى ، ولهم الحق في تقرير إذا كان المتوفى يجوز له أن يدفن في مقابر الكنيسة أم أن جسده يدنس ترابها لكونه منحرفاً عن تعاليمها ، ولذلك كان يُحرم من هذا الامتياز ، ما تركة المتوفى وتوزيعها فقد كانت من حقهم ، فإذا ظهرت وصية له فعلى الورثة أن يثبتوا ذلك في البلاط الكنسي ، والويل لمن تحدثه نفسه بأن يثور على نظام المدنية لإصدار الحكم عليه ، ثم يكون نصيبه عامود (خازوق) ليحرق بعد ذلك في الميادين العامة ، أما السلطة المدنية فما

كانت تعمل إلا في خضوع لأوامرهم ، ومن هنا نلاحظ أية قوة كانت لهم على العقول والأذهان كما على الحياة والمصير ، والمرقد الأخير (١) .

وهكذا لم تسلم من الإستبداد الكنسي لا الشعوب ولا الملوك ، بل تحكم رجال الكنيسة في رقاب الناس أحياءً وأمواتاً ، وأعطوا لأنفسهم الحق في ثرواتهم بعد وفاتهم ، وليس ذلك فحسب بل " لقد احتجزت الكنيسة لنفسها الحق في فهم الكتب المقدسة عندهم ، واستبدت بتفسيرها دون سائر الناس ، ولا معقب لما تقول في هذا التفسير ، أو في أي رأى تبديه أو أمر تعلنه ، وعلى الناس أن يتلقوا قولها بالقبول ، وافق العقل أو خالفه ، وعلى المسيحي إذ لم يستسغ عقله قولاً قالته أو مبدءاً دينياً أعلنته أن يروض عقله على قبوله ، فإن لم يستطع فعليه أن يشك في العقل ، ولا يشك في قول البابا ، لأن البابا خليق لتسلسلة الخلافة التي بيناها ، ولقد كانت تعلن أموراً ما جاء بها الكتاب المقدس عندهم ، وما تعرض له المسيحيون الأول ولا المجامع الأولى ، وهي غريبة حد الغرابة ، بعيدة عن القبول في أحكام العقل جد البعد ، وتلزم المسيحيين بها وتفرضها عليهم فرضاً . ، ومن قال كلمة فيها ، فالويل له في الدنيا ولا ينتظرون حساب الديان في الآخرة (٢)

أضف إلى ذلك ما أقنع به رجال الدين شعوبهم من سر الاعتراف الذي يوجب على الإنسان رجلاً كان أو امرأة أن يعترف أمامه بما اقترف من ذنوب ، ثم يقوم ذلك الكاهن – إنشاء بمغفرة ذنوبه بل وكتابة صك بمغفرة ذنوبه .

وفي هذا المعنى يقول حبيب جرجس " سر التوبة هو سر مقدس به يرجع الخاطئ إلى الله ، ويتصالح معه تعالى باعترافه بخطاياه أمام كاهن

---

(١) المسيحية في عصر الإصلاح د / عزت زكي – ص ١٤، ١٥ .

(٢) محاضرات في النصرانية / للشيخ أبو زهرة – ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

الله ، ليحصل على حل منه بالسلطان المعطى له من الرب يسوع ، وبه تجديده وغفران خطاياه " (١) .

كل هذه الأسباب دعت إلى ضرورة قيام حركة إصلاحية من رجال الدين أنفسهم ، تطالب بنبذ كثير من الخرافات والأوهام وتقف فى مواجهة ذلك الاستبداد الكنسى والإرهاب البابوى ، وفيما يلى نعطى نبذة مختصرة عن أهم دعاة ذلك الإصلاح :

مارتن لوثر وآراؤه :-

ولد لوثر سنة ١٤٨٣ م فى ألمانيا ، وعاش فى بيئة نصرانية تشيع فيها الخرافات والمعتقدات الزائفة ، وفى عام ١٥٠٥ م نال شهادة أستاذ فى العلوم من جامعة ايرمون ، ولكنه لم يتم دراسته القانونية ، وتحول بعدها إلى الدراسات اللاهوتية ، فدخل إلى دير الرهبان الأوغسطينين . فى عام ١٥٠٧ م عين قسيساً لرعاية كنيسة كنترج بألمانيا ، وفى عام ١٥١٠ م دفعته نزعته الدينية وإخلاصه للكنيسة ورجالها إلى أن يحج إلى روما ليتبرك بالمقر الرسولى روما حيث منّى نفسه برؤية القديسين والزهاد من الرهبان ، والكرادلة ، ولكن ما إن حل فى روما حتى هاله ما رأى من دعوى غفران الذنوب ، وامتلاك سر التوبة ، وحق منح صكوك الغفران ، وتفشى مظاهر الفساد والانحلال الخلقى فى الطبقات العليا من الكنيسة بوجه أخص ، ومن ثم عاد إلى ألمانيا خائباً رجاؤه ، ومستنكراً ما رأى وأصبح منشغلا بوضع خطة لإصلاح الكنيسة ، فى عام ١٥١٧ م أرسل البابا ليو العاشر مندوبه الراهب (جنا) فنزل لبيع صكوك الغفران فى ألمانيا ، فما أخذ أن يعلن عنها ويبالغ فى أمرها حتى ثار عليه لوثر ، وكتب فى معارضته وثيقته الشهيرة التى تتضمن خمسة وتسعين مبدءاً فى معارضة الكنيسة ، وعلقها على باب كنيسة القلعة ، فى الوقت الذى نشط فى تاليف الكتب التى تعلن مبادئه ، والتى أصبحت حديث الطبقة

---

(١) أسرار الكنيسة السبعة / حبيب جرجس – ص ١٠٣ .

المتعلمة فى ألمانيا ، مما زاد فى التفاف الناس حوله ، ولهذا كله أصدر البابا قراراً بحرمانه فى عام ١٥٢٠ م ، وعندما تلقى لوثر القرار بحرمانه ، قام بتحريض من بعض الأمراء الألمان من أصحاب دعوى الانفصال عن الإمبراطورية بحرقه علانية فى وسط الجموع الحاشدة فى وتينبرج التى أصبحت جامعتها المهد الأساسى للتعاليم اللوثرية فى ألمانيا .

فى عام ١٥٢٠ م بعد ما أظهر (مارتن لوثر) تأييداً للنزعة القومية فى الدولة الألمانية فى تولى إدارة كنيستها ، عقدت الكنيسة فى روما مجمعاً قضى بمحاكمة لوثر أمام محكمة التفتيش ، لكنه هرب إلى قلعة واتنبرج . وفيها ترجم العهد الجديد ، إلى الألمانية ، ثم شرع فى ترجمة الكتاب المقدس كله ، لكن لم ينهه وعاد إلى وتنبرج مرة أخرى .

وفى عام ١٥٢٩ م أراد الإمبراطور تنفيذ قرارات الحرمان ضد (مارتن لوثر) ، فأعلن حكام الولايات الإنجيلية فى ألمانيا فى مجلس سبير أنهم مستعدون لطاعة أوامر الإمبراطور والمجلس فى كل القضايا الواجبة إلا التى تتعارض مع الكتاب المقدس ، أو التى لا يوجد لها نص فيه ، وبالتالى رفضوا تسليم لوثر لمندوبى الإمبراطور .

عندما رأى لوثر صعوبة تحقيق دعوة الإصلاح الكنسى كرس كل جهده لقضايا الإيمان فى الكنائس الإنجيلية الناشئة ، توفى لوثر فى بلدة وتنبرج عام ١٥٤٦ م مخلفاً مجموعة من الكتب والمؤلفات التى تؤصل قواعد دعوته [١] .

ومنذ ذلك الحين وتعاليم لوثر تشق طريقها فى كافة أرجاء ألمانيا ، وكثيرون من الرهبان من زملائه الأوغسطينيين وغيرهم هجروا الأديرة منادين بما ينادى به لوثر ، وكثيرون أيضا من كهنة الأبروشيات ، أصبحوا لوثريين ، وتبعتهم كنائسهم كذلك حتى الأساقفة اعتنق كثيرون منهم

---

(١) الموسوعة الميسرة : جـ٢ ص ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، المسيحية عبر العصور – ص ٣٣١ إلى ٣٤٥

التعاليم الجديدة ، وحيثما لم يوجد رجال كنيسة طاف الشباب والكتاب في أيديهم ، منادين في القرى بإنجيل الخلاص ، بل حتى أتباع المذهب الإنساني وجد بينهم مفكرون ، رأوا في مسيحيه (لوثر) شيئاً يستحق التقدير (١)

وهكذا كان لمارتن لوثر فضل السبق في المطالبة باصلاح الكنيسة ، والتصدي لإستبداد رجالها الذين جعلوا من أنفسهم حكاماً متسلطين في دنيا الناس ، وآخرتهم ، فلقد وجدت دعوته صدا كبيراً في ألمانيا ، وفي غيرها من بلاد أوربا فيما بعد ، وقد ساعد على ذلك وجود مجموعة من دعاة الإصلاح للكنيسة في أقطار غير ألمانيا من أمثال .

زونجلي في سويسرا :

" ففي الوقت الذي يطالب فيه لوثر الكنيسة وأنصارها من ذوى السلطان ، كان في سويسرا صوت قوى آخر ينادي بما يقارب ما نادى به لوثر ذلك ، هو " زونجلي " ١٤٨٤-١٥٣١م ، فقد آلمته حال الكنيسة ، ودعا إلى مثل ما دعا إليه لوثر في مسائل الدين ، وقد ابتدأت ثورته بالثورة على صكوك الغفران ، كما ابتدأ لوثر ، وقد مات أثناء صراع وقع بين أنصاره والمقتنعين بمبادئه وأنصار الكاثوليك .

ودعوة زونجلي هذه وإن كانت تتلاقى في مبادئها في – الجملة – مع مبادئ لوثر كانت منفصلة عنها ، فلم تتوحد الدعوتان ، بل كانت كلتاهما تعمل في محيط إقليمها ، بيد أن حركة لوثر كانت أوسع دائرة ، وأسرع انتشارا لسعة الإقليم الذى نشأت فيه ، ولرعاية بعض الأمراء لها ، بل لاعتناقهم مبادئها ، ولأن الأحوال السياسية في ألمانيا كانت تسمح لمثل هذه الدعوة بالذيوع والانتشار (٢) وبعد مقتل (زونجلي) على يد أنصار

(١) المسيحية في عصر الإصلاح د / عزت زكي –ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) محاضرات في النصرانية : ص ٢٢٠ ، ٢٢١ .

البابوية ، لم يكتف المتعصبون منهم بذلك ، بل طلبوا بأن تنفذ في الجثمان مراسم معاملة الخونة ، وقد قام شربو لوزرن بهذا العمل البربري ، فقسم جسده إلى أربعة أجزاء ، ثم أحرقه ومزج الرماد برماد خنازير ، وذرى مع الرياح (١) وإلى مثل هذا الحد بلغ عداء الكاثوليك لدعاة الإصلاح لدرجة أنهم لم يسلموا من أذاهم حتى بعد قتلهم .

كلفن والإصلاح في فرنسا :

ولد جون كلفن في عام ١٥٠٩ م نشأ في فرنسا وتثقف الثقافة القانونية ، ثم عزف عنها وتحول إلى الدراسة اللاهوتية ، وفي عام ١٥٣٥ م شارك كلفن في حوار دعا إليه المبشرون المصلحون من أساقفة الكاثوليك في المدينة الذي انتهى بانسحاب الكاثوليك مما مكن (دي فاريل) صديق كلفن الحميم من الاستيلاء على الكنائس الرئيسية الثلاثة في المدينة ، كنيسة سان بيتر المجدلية ، سان جرفيز ، وتحويلها إلى كنائس إنجيلية ، أو بروتستانتية ، استغل كلفن استقراره في جنيف في تنظيم وتقنين مبادئ زعماء الإصلاح ، وعلى رأسهم (مارتن لوثر) ، وظهرت له مؤلفات وكتابات عديدة في ذلك ، ولذلك فإنه يعد أحد مؤسسي المذهب البروتستانتي ، خالف كلفن لوثر في سر فرضية العشاء الرباني من حيث كيفية حضور المسيح العشاء ، رغم إتفاقهما على عدم استحالة الخبز والخمر إلى جسد ودم المسيح ، عدل كلفن عن فكرة لوثر في إشراف الحكومة على الكنائس لما رأى ما يحدث للبروتستانت في فرنسا ، وطالب بان تحكم الكنيسة نفسها بنفسها ، وعلى الحاكم المدني أن يساعدها ويحميها ، مما كان سبباً في انقسام الكنيسة الإنجيلية إلى لوثرية وكلفينية (٢) وهكذا نرى أن كلفن وإن اتفق مع جل المبادئ التي دعا إليها لوثر ، إلا أنه قد اختلف معه في هاتين المسألتين .

---

(١) المسيحية في عصر الإصلاح : ص ١٠٩ .

(٢) الموسوعة الميسرة : جـ ٢ ص ٦٢٧ ، ك المسيحية عبر العصور ص ٣٦٢

المسألة الأولى:

تتعلق بالعشاء الرباني حيث ادعى كلفن أن المسيح يحضر هذا العشاء ، بينما يرى لوثر أن المسيح لا يحضر هذا العشاء ، وإنما القيام بشعيرة العشاء الرباني تذكير لما صنعه المسيح مع تلاميذه في آخر حياته، بينما ترى الكنائس التقليدية الكاثوليكية ، والأرثوذكسية ، أن الخبز والخمر يتحولان بطريقة سرية إلى عين لحم ودم المسيح استحالة حقيقية بطريقة سرية ، وفي هذا يقول حبيب جرجس سر الشكر هو سر مقدس به يأكل المؤمن جسد المسيح الأقدس ، ويشرب دمه الزكي تحت أعراض الخبز والخمر (١) .

المسألة الثانية :

هي علاقة الكنيسة بالدولة حيث كان لوثر لا يرى بأساً في سلطان للدولة على الكنيسة ، بينما كان يرى كلفن أن الكنيسة ينبغي أن تكون كياناً مستقلاً لا سلطان للدولة عليه ، وبسبب هاتين المسألتين انقسمت كنائس الإصلاح إلى لوثرية وكلفينية ومما سبق يتبين أن الحركة الإصلاحية لم تسلم للكنائس التقليدية بذلك السلطان الذي ادعته لنفسها ، ورفضت كل ما بني عليه من عقائد الاعتراف وشفاعة القديسين ، والسجود لصورهم ، وتماثيلهم ، واستئثارهم بفهم الكتاب وادعائهم بتحول الخمر (بسبب صلاتهم) إلى لحم المسيح ودمه ، ودعت إلى نبذ تلك العقائد والأفكار ، بل وتغيير النص الإنجيلي الذي اعتمدت عليه الكنائس التقليدية في التدليل على ذلك السلطان المزعوم ، ويبدو هذا في النقطة التالية :

---

(١) أسرار الكنيسة السبعة : ص ٦٢ ويراجع إنجيل متى ص – ف ٢٦ – ٢٨ .

البروتستانت يغيرون النصوص الإنجيلية لإثبات عقيدتهم :

لاحظت أثناء قراءتي لطبعة العهد الجديد للبروتستانت المطبوعة ١٩٩٢م بدار الثقافة بمصر ، أنهم قد حرفوا نص الفقرة ١٨ من الإصحاح السادس عشر من إنجيل متى ، والفقرة ١٨ من الإصحاح الثامن عشر من نفس الإنجيل ، فبينما كانت العبارتان هكذا (ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السماء وما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السماء) وبينما قال للتلاميذ (ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء) جاءت العبارتان في النسخة الحديثة للبروتستانت هكذا (ما تحله على الأرض يكون قد حل في السماء وما تربطه على الأرض يكون قد ربط في السماء) والفرق بين العبارتين كبير إذ النسخ المعتمدة لدى غير البروتستانت تجعل حكم السماء تابعاً لحكم الأرض ، وأما نسخة البروتستانت فإنها قد أدخلت الحرف (قد) ، وجاءت بالفعل (ربط بدل مربوط) (وحل بدل محلول) لتجعل حكم الأرض تنفيذاً لحكم السماء فيتمشى بهذا النص مع اعتقادهم ، وهكذا تطوع كل فرقة النص لهواها ، وتلوى عنقه ليتفق مع اعتقادها .

ثانياً : الصراع العقدي بين الكنائس التقليدية والبروتستانتية حول عقيدة المجئ الثاني :

وكما حدث صراع بين التقليديين والإصلاحيين من النصارى حول سلطة رجال الدين ، وما يترتب عليها ، حدث كذلك صراع محتدم بين هاتين الطائفتين حول عقيدة ما يسمى (بالمجيء الثاني) حيث يعتقد النصارى أجمعون ، بأن المسيح عليه السلام – سوف يعود مرة أخرى إلى الأرض ليختطف أرواح المؤمنين كي ينعموا معاً بالحياة الأبدية في ملكوت السماء ، وهذا المجيء تمهيداً ليوم الدينونة (القيامة وزوال العالم) ، ويستدل النصارى على هذه العقيدة بما جاء في إنجيل يوحنا (زعماً على

لسان المسيح - عليه السلام -) حيث قال انا أمضي لأعد لكم مكاناً ، وإن مضيت واعددت لكم مكاناً آتي أيضاً وآخذكم إلى حيث اكون انا تكونون انتم ايضا (١)

ويعتبر النصارى هذا المجيء أحد أركان دينهم الثلاثة مع الإيمان والمحبة (٢).

وإذا كانوا مجمعين على عقيدة المجيء فإنهم - كعادتهم - مختلفون في مدة هذا المجيء وما يعقبه . فالنصارى التقليديون يؤمنون بأن المسيح سيجيء إلى العالم مرة أخرى ، ويستغرق مجيئه هذا لحظات تختطف فيها المؤمنين به على بساط الريح ، ثم يكون بعد ذلك يوم الدينونة ، وفي هذا يقول شنودة الثالث " إن مجيء المسيح سيكون للدينونة وهذا ما نقوله في قانون الايمان " يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات الذي ليس لملكه انقضاء " ويبني هذا على تعليم الكتاب المقدس ، إذ قيل في الإنجيل فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته ، وحينئذ يجازي كل واحد بحسب عمله (٣) فإن كان المسيح يأتي للدينونة فما معنى مجيئه للحكم الألفي ؟ (٤) هذا عن عقيدة الكنائس التقليدية في المجيء الثاني . وأما بالنسبة لاعتقاد الكنائس البروتستانتية في هذه المسألة ، فهم يعتقدون أن المسيح عليه السلام سيأتي إلى العالم مرة أخرى ، ليقيم حكماً على الأرض يبقى ألف عام يسمونها بالألف السعيدية ، ويعتمدون على ما ورد في سفر الرؤيا الإصحاح العشرين " ورأيت ملاكاً نازلاً من السماء معه مفتاح الهاوية ، وسلسلة عظيمة على يده فقبض على التنين (الحية القديمة) الذي هو ابليس (الشيطان) وقيده ألف سنة وطرحه في

(١) إنجيل يوحنا : ص ١٤ - ف ١: ٣ .

(٢) خمس حقائق عن المسيح / ناشد حنا - ص ٧٤ - ط كنيسة الإخوة .

(٣) إنجيل متى : ص ٧ - ف ٢٧ .

(٤) اللاهوت المقارن : شنودة الثالث ص ١١٤ .

الهاوية، وأغلق عليه وختم عليه لكي لا يضل الأمم فيما بعد حتى تتم الألف سنة . وبعد ذلك لابد أن يحل زماناً يسيراً " (١) .

وعندما قامت الحركة البروتستانتية في القرن السادس عشر الميلادي ، تبنت الدفاع عن هذه العقيدة ، وطالبت بضرورة عودة الشعب اليهودي إلى فلسطين وتوطينه فيه ، وإعادة بناء دولته وإنشاء الهيكل وهذه العودة ضرورية لعودة المسيح في رأي البروتستانت ، فكما بعث المسيح في بني إسرائيل في المرة الأولى كذلك يجب أن يبعث في المجئ الثاني، ومن ثم تبنت حركة الإصلاح الديني المبادئ الصهيونية ، ودافعت عنها كل الدفاع ، لاحبا في الشعب اليهودي ولكن دفاعاً عن عقيدة المجئ الثاني ، ومنذ تلك الفترة نشأ ما يسمى " بالمسيحية الصهيونية " (٢) التي تدعو إلى تقديس الشعب اليهودي ، والدفاع عنه وعن دولته من أجل المسيح ، وفي هذا يقول مارتن لوثر في كتابه (عيسى ولد يهوديا) والذي صدر في عام ١٥٢٣ وطبع سبع مرات (شاءت الروح المقدسة أن تنزل كل أسفار الكتاب المقدس للعالم عن طريقهم وحدهم ، فإنهم الأبطال ونحن الضيوف الغرباء ، وعلينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل ما يتساقط من فتات أسيادها (٣)

وهكذا رضى (مارتن لوثر) لنفسه ، ودعى مسيحي العالم إلى أن يكونوا كالكلاب التي تنتظر فتات الشعب المختار، وقد أدى هذا التقديس اللوثري للعهد القديم وشعبه إلى أن أصبح المسيحيون البروتستانت يهوداً، كطائفة البيور يتانيين ، أو الأنقياء التي ملأت كتبها بالاقتباسات الحرفية من العهد القديم ، وتوقعوا عودة المسيح ليقودهم إلى النصر لتحل مملكة

---

(١) المرجع السابق : ص ١١٢ ، وراجع سفر الرؤيا –ص ٢٠ ف ١-٣.

(٢) يراجع في هذا الصهيونية غير المسيحية : حينا الشريف – ترجمة احمد عبد الله عبد العزيز ص ٢٦ ، ٢٧ – ط عالم المعرفة .

(٣) المرجع السابق ص ٣٠ – ٣١ .

السلام التي تدوم ألف سنة ، يأتي بعدها يوم الحساب ، هذه الطائفة استتبوا لها تاريخ اليهود حتى وصل الأمر إلى حد أن ارتد الكثير عن المسيحية البروتستانتية واعتنقوا الدين اليهودي ، وعمدوا أبناءهم تيمناً بأسماء البطاركة اليهود ، والحاربين العبرانيين بدلا من أسماء القديسين المسيحيين (١) ، ولقد كان لهذه العقيدة أثرها الواضح في سياسة الدول المسيحية البروتستانتية ، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية ، والمملكة البريطانية تجاه العالمين العربي والإسلامي ، ودولة إسرائيل ، حيث اعتبرت إسرائيل هي الابن المدلل ، وتولت الدفاع عنها ، وعملت تلك الدول بكل ما أوتيت من قوة على إنهاك العرب والمسلمين بل واقبلت بجيوشها محتلة لبعض أراضيه ، كما صنعت بدولة العراق ، ولا تزال محتلة لها حتى كتابة هذه السطور، وهي في كل ذلك تصدر عن فكر ديني وعقيدة لاهوتية (٢) وبعد فقد كانت هذه أهم مجالات الصراع العقدي بين النصارى التقليديين والإصلاحيين ، والتي تصدى خلالها كل من الفريقين للآخر متعصبا لرأيه ، مصراً على عقيدته - كعادتهم - ، وقد تبين لنا من خلال العرض السابق كيف ان النصارى التقليديين قد أعطوا لأنفسهم من الجاه والسلطان ما ليس لأحد سوى الله - عز وجل - كسلطة التشريع وحق الحرمان والغفران ، ولقد كشف القرآن الكريم عن هذه الخاصية في رجال الدين من - اليهود والنصارى - وبين أنهم قد جعلوا من أنفسهم أرباباً من دون الله . قال تعالى " ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا " . (٣) كما بين سبحانه أن هؤلاء الأحبار والرهبان قد اتخذوا من ذلك وسيلة لأكل أموال الناس بالباطل ، والصد عن سبيل الله ،

---

(١) المنظمات المسيحية الصهيونية وخطرها على الدعوة . أحمد التهامي - ص ١١ - ط التراث الإسلامي .

(٢) يراجع في تفاصيل هذا (ك المسيحية والحرب ؛ د / رفيق حبيب ، ك الوعد الحق والوعد المفترى ، د / سفر الحوالي - ط الفرقان .

(٣) سورة التوبة ؛ جزء من الآية (٣١) .

يقول تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ " (١) وفيما يختص بالنصارى يقول الأستاذ / محمد رشيد رضا " إن بعض فرقهم كالكاثوليك والارثوذكس وهو ما يأخذونه جعلاً على مغفرة الذنوب ، أو ثمناً لها ويتوسلون إليها بما يسمونه سر الإعتراف ، وهو أن يأتى الرجل أو المرأة إلى القسيس أو الراهب المأذون له من الرئيس الأكبر بسماع أسرار الاعتراف ، ومغفرة الذنوب فيخلوا به أو بها فيقص عليه الخاطئ ما عمل من الفواحش والمنكرات بأنواعها ، لأجل أن يغفرها له ، لأن من عقائد الكنيسة أن ما يغفره هؤلاء يغفره الله تعالى ، وقد كان لبيع البابوات للغفران نظام متبع فى القرون الوسطى للنصرانية ، وكان الثمن يتفاوت بقدر ثروة المشترين من الملوك والأثرياء ، والنبلاء وكبار الأغنياء فمن دونهم ، وكان يعطون بالمغفرة صكوكاً يحملونها ليلقوا الله تعالى بها ، وكان هذا الخطب الكبير من غلو الكاثوليك فى استغلال سلطتهم الدينية أعظم أسباب الخروج عليهم والانقلاب الكبير الذى يسمونه الإصلاح ، فقد ترتب عليه فساد كبير فى استباحة الفواحش وكبائر المعاصى ، والاعتراف فى الأصل لم يوضع له ثمن ، ولكن سوء استعمال بعض رجال الدين له أغواهم فجعله وسيلة لسلب المال ، وفى القوانين السرية لبعض الرهبنات الكاثوليكية مواد صريحة فى ذلك (٢) ولا شك فى أن الحركة البروتستانتية قد تأثرت ولو بوجه من الوجوه فى محاربتها للاستبداد الكنسى ، ودعوتها إلى الغاء الوسائط بين العباد وبين ربهم بالإسلام ، ولو أنهم صدقوا مع أنفسهم وأعطوا لعقولهم فرصة للتفكير والتأمل لأدركوا بطلان ما عليه الكنيسة من العقائد الأخرى ، كألوهية المسيح والتثليث ، بيد أن القوم لم يستطيعوا التخلص من ربقة

---

(١) سورة التوبة : جزء من الآية : ٣٤

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ـ جـ١ ـ ص ٣٤٥ ـ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

التقليد للآباء والأجداد ، وأما فيما يتعلق بعقيدة المجئ الثانى ، فنحن المسلمين نؤمن بأن المسيح بن مريم – عليه السلام – سوف يعود إلى الأرض مرة أخرى قبل قيام الساعة يدعو إلى الإسلام ، ويقاوم ما عليه النصارى من عقائد ، وأفكار وطقوس ، وفى هذا يقول النبى صلى الله عليه وسلم –

" والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم المسيح ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها" (١)

ومن الجدير بالذكر أن المعركة اللاهوتية بين الكاثوليك والبروتستانت ، قد تحولت إلى معارك حقيقية سالت بسببها دماء ، وأزهقت أرواح ، وفى هذا يقول الدكتور / محمد عمارة " أما الحروب الدينية التى قادتها وخاضتها الكنائس الغربية بعضها ضد بعض ، أى فى داخل النصرانية وبين أتباع مذاهبها التى أصبح لكل مذهب فيها قانون للإيمان يحتكر الخلاص لأبناء المذهب دون سواهم ، هذه الحروب التى اشتعلت لإبادة المخالفين فى المذهب ، أو إكراههم على تغيير عقيدتهم ، فإنها شهيرة حتى لقد مثلت عصراً من عصور الحضارة الغربية ، وهى قد امتدت أكثر من قرنين بين الكاثوليك والبروتستانت ، واشتهر منها إحدى عشرة حرباً (١٥٦٢ – ١٥٦٣) (١٥٦٧ – ١٥٦٨) ، (١٥٦٩ – ١٥٧٠) ، (١٥٧٢ – ١٥٧٣) ، (١٥٧٤ – ١٥٧٦) (١٥٧٦ – ١٥٧٧) ، (١٥٨٠) (١٥٨٥ – ١٥٩٤) ، (١٥٨٦) ، (١٦٢١) ، (١٦٢٥ – ١٦٢٩) م ، ولقد ذهب ضحية هذه الحروب ٤٠٪ من سكان وسط أوربا ، ووفق احصاء فولتير (١٦٩٤ –

(١) أخرجه البخارى : ك أحاديث الأنبياء – باب نزول عيسى – عليه السلام – ح رقم ٣١٦٢ – عن أبى هريرة .

١٧٧٨)م عشرة ملايين إنسان (١) ولم تنته المعارك بين البروتستانت والكاثوليك حتى اليوم ، ولا تزال أجهزة الإعلام المختلفة تطالعنا بأنباء عن معارك فى ايرلندا وفى بريطانيا ، وفى غيرهما ، ويقيناً أن هذه الصراعات باقية الى قيام الساعة يشهد بذلك قوله تعالى : " وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ" (٢)

وهكذا حين ينحرف البشر عن هدى الله – عز وجل – ويسيرون خلف أهوائهم عندئذ ، تتعارض الأهواء، وتتعاند المصالح فيجد الناس أنفسهم فرقاً وأحزاباً متناحرة متحاربة ، ولا منجى للنصارى من كل تلك الصراعات إلا أن يتبذوا ما هم عليه من أوهام وخرافات ، ويقروا بالله رباً واحداً لا صاحبة له ولا ولد ، وبالإسلام ديناً لا يبتغون غيره ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ، وقائداً وإماماً ، ولقد أثنى الله – عز وجل – على من صنع ذلك من النصارى فى قوله سبحانه " لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ {٨٢} وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ " (٣)

---

(١) الغرب والإسلام : ص ١٢٦ .

(٢) سورة المائدة : آية رقم ك ١٤ .

(٣) سورة المائدة : آية رقم : ٨٢-٨٣ .

كما أثنى عليهم رسولنا صلى الله عليه وسلم فأخبر أن للواحد منهم إذا أسلم أجرين ، فقال صلى الله عليه وسلم " ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم – الحديث[1] وبدون هذا الإيمان لن يتحقق الوفاق ، بل سيبقون في شقاق إلى يوم الدين ، كما قال تعالى " فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " (٢)

(١) أخرجه البخاري : ك العلم – باب تعليم الرجل أمته وأهله .

(٢) سورة البقرة : آية رقم : ١٣٧ .

" الخاتمة "

بعد أن عشنا الصفحات السابقة مع أهم الصراعات العقدية ، التى كانت ولا تزال لها تواجدها وآثارها بين الفرق النصرانية تبين لنا أن من أعظم أسباب هذه الصراعات هوضياع الإنجيل المنزل على عيسى – عليه السلام – ، بين تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، وأمام الرهبة من سلطة الرومان والرغبة فى تلك السلطة ، ضاعت معالم دعوة التوحيد الصافية ، المنزلة على عيسى – عليه السلام – ، كما يتضح لنا كيف استغلت بعض العصابات الوثنية تبّنى الدولة الرومانية للاتجاه الوثنى ، فأقحمت ما لديها من عقائد وثنية استُمدت واقتبست من الفكر الشرقى الوثنى القديم مدّعية أنها ديانة المسيح – عليه السلام – ، والحق أنها لا تعدو أن تكون خليطاً من الأساطير الشعبية والخرافات الوثنية ، وقليلاً مما بقى من دعوة الحق المنزلة على عيسى – عليه السلام – ، ومن ثم حاول دعاة التثليث أن يجمعوا بين التوحيد والتثليث ، فوجدوا أنفسهم فى النهاية مذبذبين بين ذلك ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، وإذا كان دعاة النصرانية الوثنية قد اعتصموا بسلطة الرومان ، واحتموا فى جبروت القياصرة ، بعدما انكشف أمرهم، وبدى إفلاسهم بعد مجمع نيقية ، فإن دعاة التوحيد من أتباع عيسى – عليه السلام – قد ظلوا معتصمين بدعوة الحق ، متحصنين بقوة الدليل ونور البرهان ، وراية الفطرة ، ولولا تلك السياسة الخبيثة التى نهجتها دولة الرومان بتشجيع ومباركة من أساقفة التثليث ، ودعاة الوثنية ، والتى يمكن أن نطلق عليها (سياسة تجفيف المنابع) والتى تمثلت فى عزل الموحدين من رجال الدين ، وإبعادهم عن مواطن الوعظ ومراكز التوجيه ، وإعدامهم وإحراق كتبهم ، بل وكل من يعتقد عقيدتهم ، ويذهب إلى رأيهم . نقول ولولا هذه السياسة لكان للنصرانية شأن آخر ، كما أن من الحقائق التى تبدو ساطعة من خلال هذا البحث أن الإصرار على الخطأ لابد وأن يستتبع أخطاءً أشد ضراوة ، فما إن انحرف النصارى عن دعوة التوحيد وذهبوا إلى القول بألوهية المسيح حتى

أطلت برأسها فتنة كانت ولا تزال تفتك بوحدتهم ، وتعصف بشعوبهم ، حتى إننا نقول مطمئنين إن النصرانية لم تعد ديناً واحداً بعد مجمع نيقية، إنما أصبحت أدياناً متناقضة تنشر مبادئ متعارضة ، لاجامع يجمعها غير التعلق باسم المسيح ، وتلك هي سنة الله تعالى عندما ينحرف البشر عن صراطه المستقيم ، ويتبعون أهواءهم ، هنا تتعارض المصالح وتتصادم المنافع ، فتتسابق الفرق والأحزاب في تبادل الاتهامات واستخراج القرارات التي تؤيد مذهبها وتحكم بالضلال على من سواها ، ولقد بدى لنا هذا جلاء في جولات الصراع المختلفة حول الروح القدس أخالق هو أم مخلوق ؟ وإذا كان خالقاً فهل انبثق من زميليه المزعومين الآب والابن أم من الآب وحده ؟ كما ظهر كذلك في صراعهم حول الطبيعة والطبيعتين ، والمشيئة والمشيئتين ، وما إن أطل على العالم القرن الخامس عشر الميلادي وبينما الكنائس التقليدية الكاثوليكية والارثوذكسية كل تسعى إلى اختطاف ما في يد الأخرى من السلطان والاتباع ، إذ خرجت دعوة جديدة تدعو إلى مقاومة كثير مما عليه النصارى التقليديون ، تلك هي الحركة الإصلاحية المزعومة ، والتي حاولت (فيما نرى) ، وكما اتضح من العرض السابق كيف أنها عُنيت بإصلاح واجهة النصرانية مهملة ومتجاهلة أن البناء متداعي الأركان ، متهدم القواعد ، بل بُني على غير أساس من كتاب إلهي صحيح ، أو فكر بشري سليم ، ولو كان دعاة الإصلاح صادقين فيما ذهبوا إليه وأعلنوه من رغبة في الإصلاح الحقيقي ، لنبذوا ما هم عليه من أساطير وأوهام ، وانضووا تحت راية الإسلام ، ذلك الدين الحق الذي حسم الخلاف وأنهى النزاع في أمر عيسى- عليه السلام – في آية واحدة تحمل في طيّاتها البراهين المقنعة والأدوية الناجعة ، لما استبد من أمراض في عقول اليهود والنصارى في شأن عيسى – عليه السلام – تلك الآية هي قول الله تعالى " إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ

كُن فَيَكُونُ " (١) فأى عجب فى خلق عيسى – عليه السلام – ؟ ألأنه خلق من غير نطفة ذكر ؟ أليس الله قادراً على أن يصنع ذلك ، ألم يخلق آدم من تراب الأرض وخلق حواء من ضلع آدم ؟ فأى خلق أعجب . أخلق آدم أم المسيح ؟

ألسنا نرى من البشر ذكراً وأنثى بينهما علاقة زواج تبقى عشرات السنين ، ومع هذا لايؤتيان نعمة الإنجاب ؟ إن الأمر إذن ليس أمر أسباب تعمل ، إنما هو أمر إرادة تريد ، وسبحان القائل جل جلاله " إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ " (٢) فياعجباً لأمر النصارى كيف يؤمنون بأن الله خلق آدم من تراب ، ثم يشكون فى قدرة الله تعالى على خلق عيسى – عليه السلام – من غير نطفة ذكر ، وفى النهاية يبقى الحق ساطعاً سطوع الشمس فى رابعة النهار ، يحمى حماه الإسلام ، ويرفع لواءه رسول العالم محمد – صلى الله عليه وسلم .

أستاذ الدكتور / على سيد أحمد الفرسيسى

أستاذ الدعوة ومقارنة الأديان بجامعة الأزهر

---

(١) سورة آل عمران : آية رقم : ٥٩ .

(٢) سورة يس : آية رقم ٨٢ .

فهرس بأهم المراجع

أولاً : القرآن الكريم

ثانيا : المصادر البشرية

حرف (أ)

١- إظهار الحق / للشيخ رحمه الله الهندى - جـ٢ - ط دار الحديث .

٢- أسرار الكنيسة السبعة / حبيب جرجس - ط ٦ - مكتبة المحبة .

٣- الأسفار المقدسة / على عبد الواحد وافى - ط نهضة مصر .

٤- الله ذاته ونوع وحدانيته / عوض سمعان - ط الكنيسة الإنجيلية .

٥- الاضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام / توفيق الطويل - ط الفكر العربى .

٦- انبثاق الروح القدس / للبابا شنودة الثالث - ط المحبة .

حرف (ت)

٧- تاريخ الكنيسة / جون لوريمر - ط دار الثقافة .

٨- تاريخ الكنيسة القبطية / منسى يوحنا - ط المحبة .

٩- تاريخ المسيحية / عوض سمعان - ط

١٠- تاريخ المسيحية / حبيب سعيد - ط الكنيسة الأسقفية .

١١- تاريخ الكنيسة المصرية / رفيق حبيب ، ومحمد عفيفى - ط الدار العربية للطباعة والنشر

١٢- تفسير العهد الجديد / وليم باركلى - ترجمة القس فايز فارس - ط الثقافة

١٣- تفسير المنار / رشيد رضا - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب

حرف (ج)

١٤- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى – ط الغد العربى .

١٥- جذورا لفتنة الطائفية فى مصر / جمال بدوى – ط الهيئة العام للكتاب

حرف (ح)

١٦- حقائق أساسية فى الإيمان المسيحى / فايز فارس – ط الثقافة

حرف (خ)

١٧- الخلاص فى مفهومه التطبيقى / صموئيل حبيب – ط دار الثقافة المسيحية

١٨- خمس حقائق عن المسيح / ناشد حنا – ط دار الثقافة .

حرف (د)

١٩- دراسات فى الكتاب المقدس / لاسناسيوس – ط دار العالم العربى

٢٠- ديانات مصر القديمة / أودلف أرمان – ترجمة عبد المنعم أبو بكر – ط الباب الحلبى

حرف (ر)

٢١- الروح القدس وعمله فينا / شنودة الثالث – ط ٣ – م الأنبارويس

حرف (ز)

٢٢- الزواج والطلاق فى جميع الأديان / عبد الله المراغى – ط ١٩٦٦م

حرف (ش)

٢٣- شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة / يوحنا سلامة – مكتبة مارى جرجس

حرف (ص)

٢٤- شريعة الزوجة الواحدة – شنودة الثالث – ط الثقافة .

٢٥- الصحائح في جواب النصائح / لابن العسال – ط المطبعة القبطية عين شمس

٢٦- الصهيونية غير المسيحية / جينا الشريف – ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز – ط عالم المعرفة

حرف (ط)

٢٧- طبيعة المسيح / للبابا شنودة الثالث – ط المحبة

حرف (ع)

٢٨- العقائد الوثنية في الديانة النصرانية / محمد بن طاهر البيروتي – تحقيق محمد عبد الله الشرقاوي – ط دار الصحوة

٢٩- عقيدتنا في المسيح / للقس عبد المسيح بسيط – ط المصريين

٣٠- علم اللاهوت / ميخائيل مينا – ط النصر – بمصر سنة ١٩٧٦م

٣١- العهد الجديد

٣٢- على أعتاب الفاتيكان – محمد عيسى داود – ط البشير

حرف (غ)

٣٣- الغرب والإسلام أين الخطأ والصواب / د . محمد عمارة – ط دار الشروق

٣٤- غرائب القرآن ورغائب الفرقان /للإمام نظام الدين النيسابوري ط الأولى سنة ١٩٩٥ م – دار الصفوة

حرف (ف)

٣٥- الفصل فى الملل والأهواء والنحل / للإمام ابن حزم الأندلسى – ج١ – ط دار المعرفة

حرف (ق)

٣٦- قاموس الكتاب / المقدس / لجماعة من اللاهوت – ط دار الثقافة

٣٧- قصة الحضارة / ول ديورانت – ط لجنة التأليف والنشر بجامعة الدول العربية

٣٨- قيامة المسيح والأدلة على صدقها / عوض سمعان – ط الكنيسة الإنجيلية

٣٩- قيامة المسيح حقيقة أم خدعة ؟ / د. فريز صموئيل – ط دار الثقافة

٤٠- القيامة رجاء البشرية فى الخلود / صموئيل مشرقى – ط الكنيسة الخمسينية

حرف (ك)

٤١- الكتاب المقدس

حرف (ل)

٤٢- اللاهوت المقارن / شنودة الثالث – ط الثقافة

حرف (م)

٤٣- محاضرات فى مقارنة الأديان / إبراهيم خليل أحمد / ط دار المنار

٤٤- محاضرات فى النصرانية / للشيخ محمد أبى زهرة – ط الرئاسة العامة بالسعودية

٤٥- محمد فى التوارة والإنجيل والقرآن / إبراهيم خليل أحمد – ط دار المنار

٤٦- المسيحية عبر العصور / إيريل كيرنز – ترجمة عاطف سامي برنابا – ط دار نوبار للطباعة

٤٧- المسيحية / أحمد شلبي – ط النهضة

٤٨- المسيحية في عصر الإصلاح / د. عزت زكي – ط

٤٩- المسيحية والحرب / د. رفيق حبيب – ط

٥٠- مفاتيح الغيب / للإمام الرازي – ط دار الغد العربي

٥١- المنظمات المسيحية الصهيونية وخطرها على الدعوة / أحمد التهامي – ط التراث العربي

٥٢- الموسوعة الميسرة في الملل والمذاهب / د. منيع بن حماد الجهني – ط منيع بن حماد الجهني – ط دار الندوة العالمية

حرف (ن)

٥٣- النصرانية / محمد تقي العثماني – ط رابطة العالم الإسلامي

٥٤- نظام الأسرة بين الإقتصاد والدين / د. ثروت أنيس الأسيوطي – ط الثالثة سنة ١٩٨٨ م

٥٥- نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية / محمد شكري سرور – ط دار الفكر العربي

حرف (و)

٥٦- الوعد الحق والوعد المفترى / د. سفر الحوالي – ط الفرقان

٥٧- يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء / د. رؤوف شلبي – ط: مكتبة الأزهر.

فهرس